الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص : لسانيات عامة

مذكرة التخرج لنيل شهادة ليسانس

الموسومة بـ :

الاقتباس القرآني في شعر محمد العيد آل خليفة

إعداد الطالبتين:

- ولد العربي عائشة
- بلكبير شريفة

إشراف الأستـــاذ

أ. شعيب يحيى

السنة الجامعية

2018/2017 م

1439/1438 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

تشكـــــرات

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلى بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، لا إله أنت جلّ جلالك.

بعد شكر المولى عز وجل وهو المستحق للحمد والثناء على فضله ونعمه.

يشرفنا أن نتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان والتقدير إلى أستاذنا الفاضل "شعيب يحيى "الذي تحمل معنا عبء الإشراف في بحثنا هذا والذي كان خير عون.

كما نتوجه كذلك بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل الذين جمعتنا بهم حلقات العلم منذ أول خطوة خطوناها في مشوارنا الدراسي، فلهم منّا الشكر الجزيل على ما بذلوه من مجهودات ولما زودونا به من علوم ومعارف.

إهـــداء

بعد كل هذا الجهد أهدي ثمرة اجتهادي

إلى من آنستني دقات قلبها، إلى من تعلمت آلام المخاض فقط لتراني، إلى من أرضعتني وسقت صباي بحنانها وصبرها، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض

"والدتي الحبيبة"

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من كلّت أنامله ليمهد لي طريق العلم، إلى الدرع الواقي والكنز الباقي، لك أقدّم وسام الاستحقاق أنت

"أبي العزيز".

إلى صاحب القلب الطيب الذي لم يبخل عليّ بطيبته وعونه، أخي الغالي "حسين".

إلى القلوب الطّاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي أختي "كريمة"، "سمية".

إلى الكتاكيت الصغار "أيمن، "أمجد، "مسلم"، "إسراء ".

إلى صديقاتي اللاتي عرفت فيهن معنى الصداقة الحقيقية "خثير أحلام"، "بلكبير شريفة"، "بن صغير نادية"، "رحالي نوال" وإلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي.

عائشة

إهـــداء

لك الحمد ربي على عظيم فضلك وكثير عطائك لأنه لا يسعني في هاته اللحظات التي لعلي لا أملك أغلى وأعز منها أن أهدي ثمرة جهد سنين من التعب والسهر والجد من خلال هذا العمل المتواضع أهديه إليك ....

إلى القرآن الكريم وأمته ....

إلى اللغة العربية وأهلها ....

إلى روح الشاعر محمد العيد آل خليفة .....

إلى من نزعت من روحها وراحتها لإسعادي، رمز الوفاء أنتِ وفيض السخاء وجود العطاء عند البلاء، لن أوفيك حقك يا نعمة الله السامية الغالية.

أمي ثم أمي ثم أمي "اطال الله في عمرها "

إلى من ضحى بالنفس والنفيس بشق ستائر الليل يصارع حرارة وشراسة الشمس ليقطف منها شعلة ينير بها دربي، إليك "أبي الغالي"

إلى الأستاذ المشرف "يحيى شعيب " نعم الأساتذة أنت...

وإليكم من شاركتموني ظلمة الرحم ونور الدنيا "حسام" و"رانيا" و"رضوان" و"رانيا"

إلى خالي العزيز "ميلود" الذي لطالما كان السند لنا في هذه الحياة "أطال الله في عمره".

إلى كل العائلة من قريب ومن بعيد

إلى حبيبة قلبي "عائشة جلغوم" بك عرفت معنى الصداقة

وإلى صديقاتي ولد العربي عائشة، هلال سمية، نجادي أمينة، كريمة، أحلام، صافية...

وإلى كل من أحبني بصدق. .....

إليكم جميعا أهدي هذا العمل .

شريفة

المقدمة

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العربي، خير الخلق، وحبيب الحق، الذي أوتي جوامع الكلم، فكان إمام البلغاء وسيد المتكلمين، وبعد:

لا يتصور عقل سليم يؤمن أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يكون قوله مثل قول البشر، أو يتصور أن يقدر على نظيره البشر، فأين المخلوق من الخالق؟ وأين المصنوع من الصانع؟ إذ يعد القرآن المصدر الأول في التشريع دينيا ولغويا، لهذا فهو يحتل مكانة خاصة في نفس الشاعر المسلم، لأنه يرى فيه المصدر القوي الذي يوجه حياته العامة، والينبوع الثري الذي يذكي مسيرة المسلم الشعرية، بما تغنيه من أساليب رفيعة في الكتابة الأدبية، فهو ينهل منه ما يعينه على تنمية قاموسه اللغوي، وترقية أساليبه الأدبية، والشعر الجزائري لم يكن بمنأى عن هذا التأثر بالقرآن، والدارس للشعر الجزائري، وخاصة في مرحلة الإصلاح يشعر أن شعراء هذه المرحلة كانوا يكتبون بوحي من القرآن، وتحت تأثيره إذ أنهم يعتمدون على نسقه في بناء تراكيبهم وأساليبهم وتعابيرهم.

ومحمد العيد واحد من هؤلاء الشعراء الذين عكفوا على النص القرآني واعتبروه مصدرا أساسيا من مصادر الاقتباس، فنجد جلّ نصوصه الشعرية مليئة بالاقتباسات من القرآن الكريم سواء الألفاظ أو الرموز، أو الصور والقصص القرآنية.

فالهدف من تقديم هذه الرسالة توضيح كيفية اقتباس الشاعر من القرآن الكريم، وكيف ضمنه واستفاد منه في التعبير عن تجربته الشعرية، فلقد كانت نقطة الاهتمام هنا هو جمالية الاقتباس الديني في شعر محمد العيد آل خليفة.

والسبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع من حيث أهميته، فهو جدير بالاهتمام، إذ يتناول جمالية الاقتباس وتأثيره الكبير على الإبداع الفني، إضافة إلى ذلك اختيارنا لهذا الشاعر لما لفت نظرنا في شعره من كثرة الاقتباسات القرآنية مع الوعي الكامل بهذا الاقتباس، وقدرته على تطويع هذه الاقتباسات في السياق الشعري.

ولبلوغ المرام في هذا البحث، حددنا إشكالية كالتالي :

– فيما تتمثل جمالية الاقتباس الديني في شعر محمد العيد؟

وبعد طرح هذه الاشكالية كان لابد من حضور مجموعة من التساؤلات الفرعية والتي كانت كالآتي:

- ماهي أبرز القصص القرآنية التي وظفها محمد العيد في ديوانه؟
- وكيف كان وقع أثر الرمز القرآني وتجليه في شعر محمد العيد؟
- وكيف تمثل النص القرآني في قصائد محمد العيد؟

وفي سبيل الإجابة عن هذه الأسئلة التي طرحنا بعضها، رسمنا خطة بحث تضمنت ما يلي: مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

مدخل: استهلينا بالتحدث عن الاقتباس وأنواعه وما شاكل ذلك ثم التعريف بالشاعر محمد العيد.

الفصل الأول: الموسوم بالقصص القرآني في شعر محمد العيد والذي جاء مقسما إلى مبحثين:

المبحث الاول :بعنوان القصة القرآنية مفهومها ومميزاتها، والذي قسم بدوره إلى مطلبين: تطرقنا في المطلب الأول إلى مفهوم القصة القرآنية، أما المطلب الثاني فتحدثنا فيه عن مميزات القصة القرآنية وأهدافها.

المبحث الثاني :وكان بمثابة الجانب التطبيقي لما جاء في المبحث الأول، وعنونّاه بتوظيف القصة القرآنية في شعر محمد العيد، ولقد اندرج تحت ظله عناوين فرعية بأسماء القصص القرآني التي وظفها محمد العيد في شعره.

الفصل الثاني: جاء بعنوان الاقتباس اللغوي والرمزي في شعر محمد العيد والذي قسم هو الآخر إلى مبحثين:

المبحث الأول: بعنوان الاقتباس اللغوي والقرآني في شعر محمد العيد وتمّ تقسيمه إلى مطلبين: تضمن المطلب الأول مفهوم الرمز الشعري، والمطلب الثاني: تجلي الرموز الدينية في شعر محمد العيد.

المبحث الثاني: والذي تم وضعه تحت عنوان تجلي الرمز القرآني في شعر محمد العيد والذي جاء هو الآخر مقسما إلى مطلبين: المطلب الأول تناولنا فيه تأثر محمد العيد بالتراكيب الدينية وتوظيفها في شعره، أما المطلب الثاني توظيفه للألفاظ الدينية.

الفصل الثالث: المعنون بأثر الإيقاع والفاصلة القرآنيين في شعر محمد العيد وجاء مقسما إلى مبحثين:

المبحث الأول: وُضع تحت عنوان الإيقاع القرآني واندرج تحته ثلاث مطالب: تطرقنا في المطلب الأول إلى مفهوم الإيقاع وفي المطلب الثاني أشكال الإيقاع القرآني وفي المطلب الثالث أثر الإيقاع القرآني في شعر محمد العيد.

المبحث الثاني: حمل عنوان أثر الفاصلة القرآنية في شعر محمد العيد، وخصصناه للحديث عن الفاصلة القرآنية بتقسيمه إلى مطلبين: جاء المطلب الأول كجانب نظري تناولنا فيه مفهوم الفاصلة القرآنية، أما المطلب الثاني فكان عبارة عن تطبيق لما جاء في المطلب الأول.

وفي الأخير ذيّلنا هذا البحث بخاتمة كانت عبارة عن نتائج واستنتاجات استُخلصت من معالجتنا لجوانب هذا الموضوع.

وتمّ السير في كل ذلك وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي أسعفنا في بلوغ المرام والأهداف.

وكان الزاد ومنهل هذا البحث مكتبة تنوعت فيها المصادر والمراجع التي كان من أهمها: ديوان الشاعر الذي جمع أغلب أشعاره وكتب تحدثت عن الشاعر محمد العيد، وكذلك التي تناولت موضوع الإعجاز القرآني، وبعض المراجع التي اهتمت بموضوع القصص القرآني والرمز القرآني، وفي تفسير بعض الآيات تمّ الاعتماد في ذلك على كتب التفسير.

ولقد واجهتنا بعض العثرات في طريقنا لإنجاز هذا البحث لعل أبرزها:

عدم توفر بعض المصادر والمراجع التي تساعدنا والتي تخدم موضوعنا هذا.

وفي الختام جعل الله عملنا خالصا لوجهه، إنه وليّ التوفيق.

المدخل

يعد القرآن المصدر الأول في التشريع دينيا ولغويا، لهذا فهو يحتل مكانة خاصة في نفس الشاعر المسلم، لأنه يرى فيه المصدر القوي الذي يوجه حياته العامة، والينبوع الثري الذي يذكي مسيرة المسلم الشعرية، ومحمد العيد كشاعر جزائري مسلم لم يكن بمنأى عن ذلك، وسنلاحظ لاحقا كيف عالج محمد العيد قضية الاقتباس من القرآن الكريم واستغلها للتعبير عن مكنوناته.

أولا: مفهوم الاقتباس

1- لغة:

الاقتباس في اللغة يأتي بمعنى الشُعلة ، يقال :خذلي قبسا من النار[1]،كما في قوله تعالى :﴿**لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)**﴾[سورة طه، آية 10]، ويأتي بمعنى الإفادة، يقال اقتبس منه نارا [2]، ومن المجاز قبسته علما وخبرا واقتبستُه: أخذتُه، يقال: هذه حمى قبس لا حمى عرض: أي اقتبسها من غيره رأي أخذها، ولم يتعرض له من تلقاء نفسه[3].

2- اصطلاحا :

فهو أن يضمن المتكلم كلامه شيئا من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة[4]،بشرط ألا يقال فيه، قال الله تعالى ونحوه، فإنّ ذلك لا يكون اقتباسا[5].

وقال البلاغيون عن الاقتباس أنه(تضمين الكلام نظما كان أم نثرا شيئا من القرآن والحديث يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه، كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا ...)[6]، فهو ضرب الصناعة البلاغية وبالخصوص من البديع بوصفهم إياه واحدا من المحسنات البلاغية التي يُعنى بها الشاعر أو الناثر[7].

---

[1] اساس البلاغة : مادة قبس.

[2] لسان العرب: مادة قبس.

[3] اساس البلاغة :مادة قبس.

[4] أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ص 204.

[5] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الندوة الجديدة.

[6] سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، القاهرة ، مطبعة عبد الله أفندي ، 1307هـ ، ص 450.

[7] حكمة فرج البدري ، معجم آيات الاقتباس ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، 1980 ، ص 8-9.

وقد جاء موضوع الاقتباس في أكثر من معنى فقد سمي (حسن التضمين)أو الاقتباس والتضمين، وقد اقتصر موضوع الاقتباس على القرآن والحديث في المتعارف عليه، غير أن بعضهم أضاف إليه الأخذ من مسائل الفقه، بل من بقية العلوم أيضا[1]، ولكن هذه الإضافة لا تجعل حدا فاصلا في دلالة هذه الكلمة، وإنما تساوي بين العلوم المختلفة وبين القرآن والحديث، وتحد من تخصيصها ومن معناها اللغوي.

ويمكن القول أن الاقتباس اصطلاحا هو(أن يضمّن الكلام نظما أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث)[2].

3- أنواع الاقتباس:

1- اقتباس النثر من القرآن الكريم.

2- اقتباس الشعر من القرآن الكريم.

3- اقتباس النثر من الحديث النبوي الشريف.

4- اقتباس الشعر من الحديث النبوي الشريف.

والذي يهمنا من هذه الأنواع هو الثاني، أي الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر.

أما موقف العلماء والفقهاء منه، فقد أباحه بعضهم وقيّده بعض منهم، وكرّهه ثالث وحرّمه آخر.

فممن أباحه الإمام الشافعي وأتباعه، وممن حرّمه أتباع المذهب المالكي، كما يقول السيوطي: (وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد التنكير على فاعله، وأما أهل مذهبنا -يعني الشافعية - فلم يتعرّض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس في أمصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا)[3].

بما أن مذهب مالك دخل الأندلس مبكرا في عهد عبد الرحمن الداخل، فعليه يكون أمام الشعراء عائق ديني في الاقتباس من القرآن الكريم خاصة. لأن بعض الفقهاء أجاز الاقتباس في النثر، وكرّهه في الشعر، وعلّة

[1] المصدر السابق، ص 10.

[2] حكمة فرج البدري، معجم آيات الاقتباس ، ص 10.

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 11.

التفرقة في الشعر والنثر ظاهرة، فإن القرآن الكريم لما نُزِّه عن كونه شعرا ناسب أن يُنزَّه عن تضمينه الشعر بخلاف النثر[1].

4-أقسام الاقتباس:

وينقسم الاقتباس من حيث القبول والمنع إلى ثلاثة أقسام:

1- مقبول: وهو ما كان في الخطب والمواعظ والعهود، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك.

2- مباح: وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص.

3- مردود: وهو على ضربين، أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه كتوقيع قائل عن شكاية عمالة، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل[2].

إن كل هذه الأحكام والمعاني التي ذكرناها تصب في خدمة القرآن الكريم، فمحاولة الشعراء الاقتباس من القرآن الكريم يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما أكثر الشاعر من اقتباسه كان أقرب إلى تلك الذروة[3].

ثانيا : تعريف موجز للشاعر

1- مولده ونشأته:

ولد "محمد العيد آل خليفة" يوم 27 جمادى الأولى 1923هـ الموافق لـ 28 أوت 1904م، في مدينة العين البيضاء من أسرة دينية عريقة ونشأ بهذه المدينة وحفظ القرآن وتعلم بمدرستها الابتدائية عن الشيخين "محمد الكامل بن عزوز "و"أحمد بن ناجي" ثم انتقل إلى بسكرة سنة 1918م،حيث تابع دراسته وبعد سنتين تاقت نفسه للذهاب إلى تونس لنيل شهادة التطويع من جامع الزيتونة، حيث حاول أن يتعمق الثقافة العربية قديمها وحديثها، وأن يجمع بين الحياة الدينية التي ورثها عن أسرته ومشايخه، وبين الحياة المادية الصاخبة التي يعيش تحت شمسها ويسمع عن تطوراتها أشياء كثيرة، ولكن هذه المحاولة لم يقدر لها أن

[1] سامي مكي العاني، اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن الكريم، مجلة آداب المستنصرية ، ع 20-21 لسنة 1991، ص 16.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 112.

[3] سامي مكي العاني، اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن الكريم، ص 17.

تنجح، فقد عاد إلى بسكرة بعد عامين لأسباب عائلية أو شخصية نجملها حتى الآن[1]، ولقد قام عبد الحميد بن باديس بترشيحه لمنصب مدرس في مدرسة "الشبيبة" –العاصمة، ولقد مكث الشاعر في هذه المهمة قرابة اثنتي عشر سنة دون أن يعتريه سأم أو يطمح في ترقية [2]،والجدير بالذكر أنه في هذه الفترة أمسك عن الشعر، أو على الأقل لم ينشر ما نظمه في تلك الظروف، وفي بداية الحرب العالمية الثانية ترك مهنة التدريس وعاد إلى بسكرة سنة 1940،ليعود إلى مهنته ثانية بعد انتقاله إلى باتنة، وقد بقي هناك من حوالي سنة 1941 إلى 1974، وبعد معاناة انتقل بأسرته إلى عين مليلة حيث مكث بها ما يقارب ثماني سنوات مديرا لمدرستها الحرة وعندما انطلقت شرارة الثورة الوطنية (نوفمبر 1954) كتبت الصحافة وتناقل الناس –بعد ذلك– أن الشاعر الكبير قد تعرض إلى أنواع من الاضطهاد والمحاكمة برغم سنه وعلمه، وأنه لجأ مرة أخرى إلى بسكرة عساه أن يجد بها مكانا بلا لهب ولا دم، ولكن النيران طاردته وكادت تحرقه، وقد حال دخان المعركة في الجزائر دون تتبع أخبار هذا الشاعر بل دون معرفة مصيره في أرض يترصد الموت فيها كل شريف[3].

2– لون ثقافته وتأثره:

درس "محمد العيد " في الجزائر أولا بطريقة الكُتّاب أو المدرسة القديمة سواء في عين البيضاء أو بسكرة ثم ارتحل إلى الزيتونة التي لم يبق بها أكثر من سنتين، وفي خلال هذه المدة الوجيزة أمكنه أن يكتسب خبرة واسعة، وأن يغشى مكتبات كثيرة، وأن يستغل أوقاته في الدرس والتحصيل والاطلاع خصوصا وهو يعلم أنه لم يفارق أرضه وأهله، ولم يحمله الشوق إلى تونس إلا لكي يتوسع في دراسته ويتشبع من ثقافته القومية وحضارتها. ومنذ عاد من الزيتونة دخل الحقل الوطني من أوسع أبوابه وهو باب الثقافة، ولكنا لا ندري هل كان من الخير لهذا الشاعر أن يبقى طليقا حرا يطير من زهرة إلى أخرى ويقطف ما لذه من ثمار الحياة دون حتمية أو توجيه، أو كان دخوله إلى معركة الحياة الصاخبة بسلاحه المرهف أجدى عليه؟ لسنا ندري أيهما كان الأفضل والأجدى ولكن دخوله إلى هذه المعركة قد طبع شعره بطابع خاص سنذكره حين الحديث عن

[1] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الجزائر، عالم المعرفة، طبعة خاصة، 2011، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ص 87-88.

[3] المرجع نفسه، ص 89.

شعره ومدى تمثله للواقع الاجتماعي والسياسي. إلا أنه قد أحس أنه لم يطفئ ضمأه من الثقافة، وأن الزاد الذي منحته له المدرسة وأساتذته في الجزائر أولا، وجامع الزيتونة بتونس ثانيا لا يكفيه طعاما في رحلته الثقافية الشاقة، في عصر يدين بالفكر، لذلك عكف على دراسة أمهات الكتب الأدبية القديمة ممثلة في الأغاني والكامل والبيان والتبيين والآمالي، ودواوين كبار الشعراء العرب في عصورهم المختلفة، كذلك درس تطور الشعر الأندلسي واطلع على مدارس النثر على اختلاف أطوارها وألوانها وقرأ ما ترجم إلى العربية من الآداب العالمية، كما كان على صلة دائمة بالنتاج الثقافي في المشرق العربي.

وفي الوقت الذي بدأ يتذوق الأدب ويحدد اتجاهه كانت هناك مدرستان: إحداهما المدرسة التقليدية المتطورة بزعامة شوقي في المشرق، والثانية مدرسة مجددة ثائرة وهي مدرسة المهجر.

وكان "محمد العيد" من طليعة من تأثر بجبران بالذات في فلسفته في الحياة والإحياء، وكان من المنتظر أن يتمرد الشاعر نتيجة تأثره بهذه المدرسة الرومنسية الثائرة ولكن لأسباب اجتماعية اكتفى بالتأثر الهادئ دون أن يرفع السلاح في وجه القديم والقدماء.

3- تجربته الفنية:

لقد كان محمد العيد قرينا للشعر كأنهما ولدا معا من رحم واحدة، وتربيا في مهد واحد، وشبّا كالماء وخريره، والشجر وحفيفه واللحن وصداه ... ثم سارا معا خطى فسيحة نحو نهاية المجرى الذي يسير فيه جدول الحياة الكبير... نحو الكهولة والفراغ الأبدي. كما أنه لا يَنظُم الشعر من جمل وكلمات وحروف ولكنه يصوغ من سبائك الذهب الخالص، والأسماط النضيدة، والباقات المعطرة بالورد والنرجس والأقاح، وأن قوافيه محكمة البناء، جميلة الإيقاع ليس فيها نشاز أو أصداء لأنه خلع على هذه القوافي من شعوره وخطرات نفسه حتى استوت متكاملة الصفات يتحدى بها الحاقدين والناقمين، ويطرب بها الآذان والقلوب:[1]

كُلّفت به طفلا فكنت أصوغه ... سبائـك تبرأُ فرغت بحصـــاة

وأنظمه سمطا نضيدا منسقـا ... بديع اللآلئ محكم الخـــرزات[2]

وقافية أمست تمثل يوسفـــا ... بمـا فيه من يمن وحسن صفـات

[1] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الجزائر، عالم المعرفة، طبعة خاصة، 2011، ص 124.

[2] شاعر الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة ، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 11.

خلعت عليها من شعور مطارفا وكلّلتُها ما شئت من خطـــــراتي [1]

ويقول إنه يجيل بالشعر فكره كالساقي الذي يجيل القداح على الندماء:

أَجيـــل بالرأي فكري كمن يجيـل القداحـا

وأنظـــم الشعور وردا ونرجسا وأقاحـــــا [2]

ويقول إنه والشعر لم يفترقا منذ كان طفلا صغيرا إلى أن صار يقارب الأربعين:

صَحِب الشعـر صبيا يافعا وفتـــى كهلا يُداني الأربعين[3]

وحين يتحدث إلى بلاده، يرجوها ألا تطلب منه أكثر مما خُلق له، وهو الشعر الصادق، ويفخر أمامها بهذا الشعر الذي يصوغه. بروراً بها، وإخلاصا لها، إذ أن شعره يمتاز بالسهولة في النظم، والطاعة في المعاني والقوافي:

اِكتفي في البُرور مني يـــا أرض بشعر به يجيش الفـــؤاد

ذي معان أبيها مستجيب وقواف عصيها منقـــــــاد4

ويدّعي-كما ادّعى الشعراء من قبله مثل المتنبي والبارودي وشوقي- أن شعره خالد وأنه سيبقى مدى الزمن يردده الناس وتهتف به الأيام وتتساجل به الحمائم في الرياض ويهفو به النسيم في كل مكان[5].

تروح به الأيام "شبه" هواتف تساجلن فوق الروض بالنغمات[6]

4/ العقيدة في شعره:

كانت صلة الشاعر بالدين أقوى من أن تقاوم وأوضح من أن تكون محل مناقشة. وقد تواترت الأخبار عن عارفيه وتلاميذه وأصدقائه أنه كان تقيا ورعا في مظهره وسلوكه، كما أن لدينا من شعره ما يدل على أنه

---

[1] شاعر الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة، موقم للنشر، الجزائر 2010،ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

[3] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد أل خليفة، ص 67.

[4] المرجع السابق: ص 44.

[5] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ص 100.

[6] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 11.

كان يستلهم كثيرا من خواطره وأفكاره من رصيده الديني ويهدف في أكثر ما يقول إلى غاية دينية واضحة ..

وهذا السلوك يتمثل في عدّة مظاهر منها في الخارج، أنه كان يؤدي الواجبات الدينية في أوقاتها وكان يطرق في شعره موضوعات دينية محضة أو تهدف إلى غرض ديني كالحملات التي شنها على بعض المستشرقين، والقصائد التي هنأ بها الداخلين في الإسلام من الأوروبيين أما في الداخل، من أعماق الشاعر، فقد كانت هذه النزعة الصوفية تطغى عليه أحيانا حتى تضطره إلى الانقطاع عن قول الشعر وهجر الناس والتوجه بقلبه وروحه إلى ربه لعله يجد على النار هدى[1]، كما يقول مخاطبا قلبه:

أقلني جانب الدنيا أقلني فإني من متاعبها أئِن

إلى الأخرى فاعرج بي تُفرج على نار يكاد بها يجنّ[2]

وهو يعتبر نفسه أسيرا للفرائض الدينية إذ يطمع في حياة أفضل وأكمل بعد اليوم وأي حرج في أن يكون أسيرا في يومه هذا طليقا في غده ينعم بالحرية المطلقة وراحة الضمير الكبرى:

هوايَ فرائض للحق تُلقى على كتفي وآداب تُسنُّ

رضيت بأن أكون لها أسيرا رضيت ...ورُب أسر فيه منّ[3]

وتتوثق صلته بالعالم الآخر، فيرغب في قطع جميع الأسباب التي تربطه بهذه الحياة المليئة بالشهوات والأطماع والمظالم وينادي قلبه أن يتحرر وينطلق من عقاله ووحله وأن يفيق من تصابيه الذي لم يعد يرضاه له دينه الحنيف ولا سنه المتقدم[4].

تحرر وانطلق يا قلب حينا إلى كم أنت للشهوات قنّ

أفق يا قلب من سكر النصابى فلا يرضاه لي دين وسنّ[5]

---

[1] ا أبو القاسم سعد الله الشاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، ص 101.

[2] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 367.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ص 101.

[5] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 367.

ويصف نفسه الممزقة التي لا ترى أين الطريق ولا كيف الخلاص من هذا العالم الشقي الهابط فيقول:

حيران كالتائه الضليل ليس له هاد بأجرف واد كلها زلق[1]

إن عقيدته في الحياة لا تتجاوز إرضاء ضميره بأداء واجباته نحو الآخرين فإذا تعاونوا معه رضى عنهم وارتاحت نفسه واستبشرت، وإن أعرضوا عنه وقف منهم موقفا حياديا تارة وموقفا ساخطا قاسيا تارة أخرى..

وقد يلين قليلا فيعتب على نفسه ويعذر الآخرين، ومن أدراه أنه المثال الذي عليهم أن يحتذوه في مسلكهم و أهدافهم؟

ونصحت غير العاملين مقرعا وأنا الفقير لناصح ومقرع[2]

[1] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص 145.

الفصـــل الأول

اقتباس القصص القرآني في شعر محمّد العيد

المبحث الأول: القصة القرآنية مفهومها ومميزاتها.

المبحث الثاني: توظيف القصة القرآنية في شعر محمد العيد.

المبحث الأول: القصة القرآنية مفهومها ومميزاتها

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية

القصة من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام، وبيان رسالته، ومزج تعاليمه في القلوب، فقد كانت تاريخا للأمم، والشعوب الأولى وأخبار الأنبياء والرسل.

أ– القصة لغة :

تدور معاني القصة لغة حول الحفظ والتتبع والأخبار، يقال قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها، وهي مشتقة من قص الكلام أو الاخبار ونحوهما يقصها قصصا: تتبعها فرواها[1]، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ﴾[سورة القصص، الآية25].

ومن هذا المنطلق جاء تفسير الرازي للآية:**﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[سورة يوسف ، الآية03].**

فقال: «المسألة التالية القصص إتباع الخبر لبعضه بعضا وأصله في اللغة المتابعة»، **قال تعالى:﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[سورة القصص، الآية 11]**،أي اتبعي أثره، قال تعالى:**﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[سورة الكهف، الآية64]**، أي اتباعا وإنما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر القصة شيئا فشيئا»[2].

والرازي بهذا التعريف يحاول التقريب بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الأدبي؛ وذلك حين ربط الاثنين باستعماله لفظ الحكاية وإطلاقه لفظ القصة عليها وكذلك يرى أن القصص هو(مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة)، وهو بهذا التعريف يشرح معنى القصص شرحا دينيا وبهذا المعنى وردت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه مع صحابته الكرام، فمن استعمالاته لهذا اللفظ قوله عليه الصلاة والسلام(من رأى منكم رؤيا فليقصها)[3].

---

[1] ابن منظور، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1374هـ- 1955م.

[2] الرازي، التفسير الكبير، القاهرة، المطبعة البهية، ج11، ط1، 1983، ص 85.

[3] سنن الترمذي، كتاب الرؤيا الحديث، 2072.

وفي حديث آخر(إن بني إسرائيل بما قصّوا هلكوا)وفي رواية فلما هلكوا قصّوا[1].

ب- اصطلاحا :

القصة وفق ما تقدم من الاشتقاق اللغوي والمعنى الاصطلاحي هي: وسيلة من وسائل التعبير عن طريق السرد ومتابعة الآثار، والتنقيب عن أحداث وقعت في زمن ما [2].

- والقصة عامة "حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي"[3].

ج- تعريف القصة في القرآن الكريم:

القصة القرآنية: هي أنباء وأخبار تاريخية عن أحداث وقعت في قرون وأزمنة ماضية، كما تشمل النبوات السابقة خلال المسيرة الإنسانية منذ بدأ الخليقة، وحتى نزول القرآن الكريم من خلال عرض مشوق لا نظير له في الأساليب العربية المعهودة[4].

[1] صحيح مسلم: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 1960، ج7، ص 56.

[2] صابر ميشي ، المجلة الجامعة، العدد الحادي عشر، 2009، ص 46.

[3] أحمد الجوهري محمد الجوهري عبد الجواد، القصة في القرآن الكريم، الجامعة الأمريكية المفتوحة، برنامج ماجيستار، ص 06.

[4] ينظر:عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظومه ومفهومه، القاهرة، 1956م، ص 46.

المطلب الثاني :مميزات القصة القرآنية وأهدافها

ساق القرآن ما ساق من قصص تمتاز بسمو الغاية، وشريف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع .. فمن مميزات قصص القرآن:

اشتماله على طرق شتى في التربية والتهذيب، تارة عن طريق الحوار، وأحيانا عن طريق سلوك الحكمة والاعتبار، وطورا عن طريق التخويف والإنذار[1].

نرى ذلك –على سبيل المثال– في قوله تعالى:﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(102) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ(103)**﴾[سورة هود، الآيات 100-103].

وللقصة في القرآن الكريم أهداف سامية ومقاصد عالية، وحكم متعددة من أهمها:

أ- بيان أن الرسل جميعا قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها، ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وأداء التكاليف التي كَلَّف–سبحانه– خلقه بها. وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن أول كلمة قالها كل رسول لقومه، هي: أمرهم بعبادة الله تعالى ونهيهم عن عبادة أحد سواه.

فهذا هود(عليه السلام) يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ **[سورة الأعراف، الآية 65]**.

فهذه الجملة الكريمة حكاية لما وجّهه هؤلاء الأنبياء لقومهم من إرشادات وهدايات أي: قالوا لهم بكل لطف وأدب: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فإنه هو المستحق للعبادة، أما سواه فلا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

[1] محمد سيد الطنطاوي، القصة في القرآن الكريم، ج1، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة الأولى، نوفمبر 1996، ص 04-03.

ويحكي القرآن الكريم هذا المعنى على لسان كل نبي فيقول:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**﴾[الأنبياء الآية 25].

أي وما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول آخر، إلا وأفهمناه عن طريق وحينا، أنه لا إله يستحق العبادة والطاعة إلا أنا، فعليه أن يأمر قومه بذلك، وأن ينهاهم عن عبادة غيره[1].

ب- الاعتبار والاتعاظ: قال الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يوسف، الآية 111].

وهذه الآية الكريمة هي الآية الأخيرة التي ختم بها الله تعالى سورة يوسف(عليه السلام)التي اشتملت على أحسن القصص، وأحكمه وأصدقه وأشده أثرا في النفس أي: لقد كان في قصص أولئك الأنبياء الكرام، وما جرى لهم من أقوامهم، عبرة وعظة لأصحاب العقول السليمة، والأفكار القويمة، بسبب ما اشتمل عليه هذا القصص من حكم وآداب وإرشادات[2]..

ج- إثبات أن الله ناصر لأنبيائه في النهاية، وهالك الكافرين: حيث جاءت في قصص كثير من الأنبياء[3]، منها **قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.[سورة العنكبوت ، الآية 14-15].**

[1] المرجع السابق، ص 05.

[2] المرجع نفسه،ص10.

[3] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، طبعة 1422،16هـ،2002م، ص 151.

المبحث الثاني: توظيف القصة القرآنية في شعر محمد العيد

توطئة:

إن الدراسة المتأنية التي قام بها الباحثون لشعر محمد العيد جعلت الدارسين يدركون بوضوح الخصائص المميزة لشعره، التي تتمثل في توظيف الشاعر للتراث الديني واقتباس العديد من الألفاظ والمعاني والقصص من القرآن الكريم، وذلك أن الوسط الاجتماعي والوظيفي قد فرض عليه ألا يقول شعرا غير هادف إلى ناحية أخلاقية أو تعليمية، وكان الدين من أكبر العوامل التي تجذب الأسماع وتؤثر في القلوب، وكان محمد العيد بارعا في استيعاب المبادئ الأخلاقية والدينية وتقديمها في قالب شعري محبوب، وقد جعله هذا مقيدا بعدة قيود ولكنه نجح خطته نجاحا كبيرا. وما دمنا نتحدث عن الاقتباس كظاهرة عامة لا عن نتيجته فيحسن بنا أن نقول إنه قد أكثر من الاقتباس من القرآن والحديث والآثار الإسلامية[1].والشاعر لحذقه في الاقتباس لا يأتي به إلا عند الضرورة ولا يسوق المعنى الديني في ثوبه الشعري إلا إذا رأى الموقف يتطلب ذلك كأن يحث على البذل ويؤكد الإحسان أو يستثير عطف الناس على مشروع ونحوه، وقد يترك تلك النهايات إذا أحسن أن الموضوع لا يلائمها[2]،وكان يهدف الشاعر من وراء هذا التوظيف القرآني الكشف عن الصراع الحضاري بين الاستعمار والانتماء العربي والإسلامي، والصراع الديني، وبتوجيه الحياة العامة، كما اهتم شعره بتصوير معالم النهضة الأدبية والفكرية، وتجسيد حقيقة الثورة وتشبيه مسيرتها بأهوال يوم القيامة، ونظرا لامتلاكه ناصية اللغة العربية وفقه أسرارها، وأن تعامله مع القرآن كان عن فهم ودراية ، وعن صدق وإخلاص لم يجد محمد العيد صعوبة في الاقتباس منه وتوظيف ألفاظه ومعانيه، وقد سبق أن ذكرنا أن صلة الشاعر بالدين كانت أقوى من أن تقاوم وأوضح من أن تكون محل مناقشة، لقد كان هذا التوظيف القرآني مسرحا لعرض أهم القصص القرآنية التي وظّفها الشاعر محمّد العيد في شعره.

أولا: قصة إبراهيم عليه السلام.

ومن القصص التي وردت في شعر محمد العيد قصة الخليل إبراهيم عليه السلام:

عاطني من خمرة الآمال جاما إن فيها نشوة تحيي العظـــــــاما

[1] أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد ال خليفة، الجزائر، عالم المعرفة، طبعة خاصة 2011، ص 216.

[2] المرجع نفسه، ص 217.

إن فيهـا لي بردا وسلامـــا من لظى اليأس ومن نـار الخســـار

وادع لي ذات الفخــار يا هـزاري[1]

كان إبراهيم عليه السلام يعيش وسط قوم يعبدون الكواكب، فلم يرضه ذلك وأحس بفطرته أن هناك إلها أعظم، حتى هداه الله واصطفاه برسالته، وأخذ إبراهيم عليه السلام يدعو قومه لوحدانية الله وعبادته ولكنهم كذبوه وحاولوا إحراقه لأنه قام بتحطيم آلهتهم وسخريته من الكهنة، فحفروا حفرة كبيرة وملأوها بالحطب والخشب وأشعلوا فيها النار وألقوا بإبراهيم في هذه الحفرة بعد أن قيدوه لكن النار فقدت خاصيتها في الأحراق فإذا بالله يعطل الأسباب بمشيئته فكانت تلك النار بأمره تعالى بردا وسلاما على إبراهيم، وكان من الممكن أن تنطفئ النار لأي سبب من الأسباب كأن ينزل المطر من السماء فتنطفئ النار ولكن هذا لم يحدث ولو حدث لقال الكفار أن آلهتنا كانت قادرة على أن تحرق إبراهيم ولكن السماء أمطرت ولولا ذلك لانتقمت آلهتنا منه، فإبراهيم لم يهرب بل وقع في أيديهم والنار لم تنطفئ بل ازدادت اشتعالا، إذن فمعجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار ولو أراد الله أن ينجيه من النار ما مكنهم من القبض عليه، يقول الله تعالى:﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)** ﴾[سورة الأنبياء، الآيات69-70].

تفسير الآية: لما بطلت حجتهم وظهر الحق عدلوا إلى استعمال سلطانهم، وقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار، غضبا لآلهتكم إن كنتم ناصرين لها، فأشعلوا نار عظيمة وألقوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني بردا وسلاما على إبراهيم[2]، فلم ينله فيها أذى ولم يصبه مكروه.

ثانيا: قصة يوسف عليه السلام

وجد محمد العيد في قصة يوسف الكثير من الجوانب المضيئة التي استدعته للتوقف عندها، ومن بينها هو ما خصه الله به من جمال، فهذه الصورة الجميلة أصبحت مضرب المثل في كل شيئ، سواء في معناه أو مبناه، فها هو شاعرنا يصف لنا كيف كان يؤلف أبياتا جميلة حتى تغدو رائعة وبديعة، بل بالغ في وصف جمالها حتى تماثل في جمالها جمال يوسف عليه السلام:

---

[1] المرجع السابق: ص 48.

[2] إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ص 183.

وقافية أمست تمثل يوسفا بما فيه من يمن وحسن صفات[1]

وفي موضع آخر يقول محمد العيد موظفا قصة يوسف عليه السلام:

إذا فـــؤادي ســـــال بـــــه وطرفي قريـــــر

قد ارتـــــددت بصيـــرا فكيف يغوى البصيـــــر؟

قميـــص يوســـف ألقـى بـــــه عليّ البشيـــــر[2]

في هذه الأبيات معنيين اثنين أولهما ظاهر وثانيهما خفي، فالبشير المذكور في الأبيات هو الذي ألقى القميص على وجه يعقوب عليه السلام فارتد بصيرا، وهذا المعنى القريب، أما المعنى البعيد فهو أن البشير الإبراهيمي هو الذي بعث رسالة إلى الشاعر ليخبره عن إعلان استقلال الجزائر، فعرف نور الحرية، وأضاء الكون أمامه، وهو ما يقصده الشاعر مستلهما هذه الصورة الجمالية من قصة يوسف عليه السلام، لما علم أن أباه يعقوب عليه السلام فقد بصره بسبب حزنه عليه، فطلب منهم أن يلقوا بقميصه على وجه أبيه فارتد إليه بصره، فبقي قميص يوسف الذي ألقاه البشير على وجه يعقوب رمزا للبشرى وإعلان الفرحة، والتفريج بعد الضيق والعسر.

وأخذ الشاعر هذا الاقتباس من قوله عز وجل:﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** (93) **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ** (94) **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** (95) **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[سورة يوسف، الآيات:93، 94، 95، 96].

وفي تفسير هذه الآيات؛ يقول اذهبوا بهذا القميص(**فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا**)وكان قد عمى من كثرة البكاء(**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**)أي بجيع بني يعقوب(**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ**)أي خرجت من مصر (**قَالَ أَبُوهُمْ**)يعني يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه (**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ**

[1] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 355- 356.

تُفَنِّدُونِ) تنسبون إلى الفند والكبر قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت بن العباس يقول: ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال(**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سفيان الثوري[1] وشعبة وغيرهما عن بن سنان به ، وقال الحسن وابن جريح كان بينهما ثمانون فرسخا و كان بينه و بينه منذ افترقا ثمانون سنة، وقوله (**لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**) قال بن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون، وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقولهم (**إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ**) قال ابن عباس لفي خطئك القديم، وقال قتادة أي من حب يوسف لا تنساه ولا ننساه قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن أن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام، وكذا قال السدي وغيره[2].

قال ابن عباس والضحاك(**الْبَشِيرُ**)البريد، وقال مجاهد والسدي كان يهود بن يعقوب قال السدي إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فأحب أن يغسل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبنيه ذلك(**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) أي أعلم أن الله سيرده إليّ وقلت لكم(**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**)[3].

ثالثا: قصة موسى عليه السلام

إن المطّلع على قصة سيدنا موسى عليه السلام سيلاحظ وبلا أدنى شك ارتباطها بحوادث لها انعكاسات على الحياة العامة، ومدى تأثير وقائعها على النفوس، فلقد كانت قصته بمثابة الدرس الذي استقينا منه الخصائص التي تميز بها موسى عليه السلام والتي كانت ملازمة له دون غيره، ونظرا لهذا نجد الشاعر يستلهم هذه القصة للتعبير عن أفكاره والإفصاح عن مشاعره، فقد وظف محمد العيد قصة موسى عليه السلام في كثير من المواضع في قصائده:

وإذا رغبت إلى الجسيم في المنى فاركب إليه في الأمور جسيما

حثّ الخطى للعز واسلك نهجه ولو أن نهج العز كان جحيما

[1] المرجع السابق، المجلد الثاني، ص 489.

[2] المرجع نفسه، ص 490.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وخاف موسى أن يحـــل به ردى في الطور لم يكُ للإله كليـــما[1]

في هذه الأبيات التي خطى سطورها محمد العيد يرسم صورة جمالية للتعبير عن قوة الشعب الجزائري ووقوفه وقفة صمود ومقاومة ضد الظلم والتعسف الممارس في حقه، وها هو شاعرنا يدعو أبناء شعبه إلى ركوب الأهوال وتجاوز الصعب لبلوغ الهدف الأسمى، فيستلهم هذا من قصة سيدنا موسى عليه السلام حين واجه صعوبة الموقف الذي عايشه عندما رأى نارا في طور سيناء وأراد أن يأتي قومه بقبس منه وما شعر به من الخوف إلا أن الله خفف عنه روع الموقف وجعله يتقدم ليحظى بشرف تكليمه ويتلقى منه الوحي حيث استلم الشاعر أبياته هذه من قوله عزّ وجلّ:﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (9) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ(11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ(13)**﴾**[سورة طه، الآيات: 109،110، 111، 112، 113]**.

من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصدا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضلّ الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليُورى نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر ولا شيء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم(**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ**)أي شهاب من نار وفي الآية الأخرى(**أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ**) وهي الجمر الذي معه لهب(**لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**) دل على وجود البرد و قوله (**بِقَبَسٍ**) دلّ على وجود الظلام وقوله (**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**)أي من يهديني الطريق دلّ على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعد الأعور عن عكرمة عن بن عباس في قوله(**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**)قال من يهديني إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال إني لم أجد أحدا يهديني إلى الطريق آتيكم بنار توقدون بها. ويقول

[1] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 153.

تعالى(**فَلَمَا أَتَاهَا**) أي النار واقترب منها (**نُودِيَ يَا مُوسَى**) وفي الآية الأخرى (**نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ**)وقال ههنا (**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ**)أي الذي يكلمك ويخاطبك فاخلع نعليك قال علي بن أبي طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كأننا من جلد حمار غير ذكي وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبيعة[1].

وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة، وقيل ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حفيا غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم، وقوله(**طُوَى**)قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه، وقيل لأنه قدس مرّتين وطوى له البركة وكررت والأول أصح كقوله(**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**)وقوله (**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**)كقوله(**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**)أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال لا قال لأني لم يتواضع إليّ أحد تواضعك، وقوله(**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ**)أي استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك[2].

رابعا: قصة سليمان عليه السلام

فما استغله الشاعر في هذه القصة هو عدم خلود سليمان عليه السلام رغم ملكه العظيم، فلقد أتاه الله العلم والحكمة وعلّمه منطق الطير والحيوانات وسخر له الرياح والجن، وكان له قصة مع الهدهد حيث أخبره أن هناك مملكة باليمين يعبد أهلها الشمس من دون الله فبُعث سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ يطلب منها الإيمان، ولكنها أرسلت له الهدايا، فطلب من الجن أن يأتوا بعرشها فلما جاءت ووجدت عرشها آمنت بالله ويتجسد ذلك في شعره قائلا:

لا حيّ باق في العبـــــا دِ ولو على الشمس أختبئ

أيـــــن ابن داوود الـــذي اتخذ العواصف مركبـــا

[1] إسماعيل بن كثيرا لقريشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، شارع سوريا بناية ، دار إحياء التراث العربي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المجلد الثالث، ص 143.

[2] المرجع السابق: ص 144.

ودعـــــا الوحوش فأقبلت تسعى إليه الهيــد بنـــى

والطيـــر في ديوانـــــه تحني الـــرؤوس تأدبـــا

والجـــن تخدم ملكـــــه وتخـــافه أن يغصبـــــا

فسبا بذلك رلـــــــــبّ بلقيس التي ملكت سبـــأ

وأخذ محمد العيد قوله هذا من قول العزيز الحكيم:﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(17)﴾[سورة النمل، الآية 17]**، فالشاعر ها هنا لم يغفل على هذه النقطة في حياة سليمان عليه السلام فاستغلها في خطابه مع الطائر أبي البشير الذي حل بداره مزقزقا، وكانت تلك الفترة قد فرضت عليه الإقامة الجبرية إبان الثورة التحريرية فلزم بيته تفسير الآية الكريمة ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾.

أي جمع له جنوده(**جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**) الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدّته[1].

خامسا: قصة عيسى عليه السلام

حين نتطرق لقصة سيدنا عيسى عليه السلام، فلابد من ذكر المعجزات التي صاحبته، إذ أنه خلق من غير أب، وتكلم في المهد، رفع إلى الله، ثم ؛أحيي الموتى بإذن الله، وأبرأ الأكمه والأبرص وغيرها من المعجزات، فمحمد العيد وبطابعه الديني الذي يغلب عليه نجده يوظف حياة عيسى عليه السلام، فمن الملاحظ أنه استغل بعض الصفات وبعض المواقف دون الأخرى، ليقتبس منها ما يدل على التضحية والفداء في سبيل المبدأ، وما يشير إلى الخلود وقدرته في الخلق والإنشاء بإذن الله.

يقول محمد العيد في قصيدته الموسومة بـ **"بشرى البراءة"**

وارتقى عيسى إلى الله بها وشفى العُمي وأحيا الميتين[2]

[1] إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث ص 358.

[2] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 158.

هنا نجد الشاعر استحضر ظاهرة رفع الله لعيسى عليه السلام إضافة إلى ظاهرة إحياء الموتى وإشفاء المرضى، فبالنسبة للظاهرة الأولى **رفع الله لعيسى عليه السلام** استغلها شاعرنا لبيان خلود الشهداء والمناضلين والمجاهدين بأعمالهم وتضحياتهم، رغم مفارقتهم للحياة، فالله رفعهم إليه لذكرهم الحسن، كما رفع إليه عيسى عليه السلام من قبل، والظاهرة الثانية **إحياء الموتى وإشفاء المرضى** وظفها محمد العيد، لينفخ روح النضال في قلوب المضطهدين ضعيفي الإرادة والعزيمة، وليبعث الحياة في النفوس الخاملة، مستلهما هذا كل من قصة عيسى عليه السلام النبي الذي أتاه الله البينات وأيده بروح القدس وأظهر على يديه المعجزات إذا هذا الاقتباس من قوله عز وجل:﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**(55)﴾**[سورة آل عمران، الآية:55]**.

اختلف المفسرون في قوله تعالى(**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**)فقال قتادة وغيره هذا من المقدم والمؤخر وتقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه قال إسحاق بن بشر عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيم ثم بعثه ثم رفعه قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير توفيه هو رفعه وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ها هنا النوم كما قال تعالى(**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ**)، **وقال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)**، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم:« الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا»، وقال تعالى:﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ إلى قوله ﴿**وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**﴾ وقال تعالى:﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ والضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى عليه السلام أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا تقبل إلا الإسلام، وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي أحمد بن

عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: **(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ)**يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود **(إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة)** وقوله تعالى:﴿**ومطهّرك من الذين كفروا**﴾ أي برفعي إياك إلى السماء﴿**وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعا بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من علا فيه فجعله ابن الله وآخرون قالوا هو الله، وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة[1].

وقوله تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(49)** ﴾ **[سورة آل عمران،الآية 49]**.

فقوله ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾قائلا لهم ﴿**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾،وكذلك كان يفعل بصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير كيانا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة لا تدل على أنه أرسله، ﴿**و أبرئ الأكمه**﴾ قيل: إنه الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا، وقيل العكس، وقيل الأعشى ، وقيل الأعمش، و قيل هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي **(وَالْأَبْرَصَ)** معروف ﴿**وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾.

قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل ساحر، فلما استيقنوا أنها من عند عظيم جبار انقادوا للإسلام صاروا من عباد الله الأبرار[2]، وأما عيسى عليه السلام فبعث في

[1] المرجع السابق:ص366.

[2] المرجع نفسه: ص 264.

زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداولة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعث في زمن الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا لو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذاك إلا أنّ كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا، وقوله (**وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر في بيته لغد (**إِنَّ فِي ذَلِكَ**)أي في ذلك كله (**لَآيَةً لَكُمْ**) أي على صدقي فيما جئتكم به[1].

سادسا: قصة أهل الكهف

كانت قصة أهل الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا بأحداثها مصر الكثير من المعاني للشاعر التي منها: البعث والموت، فمحمد العيد في إحدى قصائده يستحضر هذه القصة وهو يحيي الشعب الجزائري الذي استرد حريته من الاستعمار الغاصب، فقد اعتبره ميتا طيلة الفترة التي قضاها تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، وعاد إلى الحياة بعد مائة وثلاثين سنة(النهضة بعد الخمول) مشبها إياه بأهل الكهف الذين أحياهم الله بعد موتهم (البعث بعد الموت):

وأعجبُ لشعب قام حيا بعدمـــا قد كان مذ قرن وثلث أقبـــرا

أنظر لأهل الكهف كيف تمثلـوا في شعبنا مستيقظين من الكرى

من كان ينكر بعثه من موتـــــه فالله أطلعـــه عليـه وأعثـــرا[2]

وأخذ هذا من قوله تعالى:﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(12)**﴾[سورة الكهف، الآيات 9-10-11-12]

[1] المرجع السابق: ص 265.

[2] شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة ، موفم للنشر ص 405.

تفسير الآيات الكريمة:

﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** (9)﴾وهذا الاستفهام بمعنى النفي والنهي، أي لا تظن أن قصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها فلم يزل الله يرى في عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، وما يتبين به الحق من الباطل والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب بل هي من آيات الله العجيبة وإنما المراد أن حسبها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها في مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم و العقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها فإنها مفتاح الإيمان، وطريقة العلم والإيقان، وأضافهم إلى الكهف الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم لملازمتهم له دهرا طويلا.(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا ءاتنا من لدنك رحمة و هيئ لنا من أمرنا رشدا)ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال(**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ**)أي الشباب، (**إِلَى الْكَهْفِ**)يريدون بذلك التحصن و التحرر من فتنة قومهم لهم (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة)أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير(**وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**)أي يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق فلذلك استجاب الله لدعائهم.

(**فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ**) أي أنمناهم (**سِنِينَ عَدَدًا**)وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة.

(**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**(12))(**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ**)أي من نومهم (**لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**)أي لنعلم أنهم أحصى لمقدار مدتهم بها[1].

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الفصـــل الثـانـي

الاقتبــاس اللغوي والرمــزي في شعر محمد العيــد.

المبحث الأول: الاقتباس اللغوي القرآني في شعر محمد العيد.

المبحث الثاني: تجلي الرمز القرآني في شعر محمد العيد.

المبحث الأول: الاقتباس اللغوي القرآني في شعر محمد العيد.

المطلب الأول: الألفاظ الدينية.

1)- طير أبابيل:

لقد وظّف محمد العيد هذه المفردة في قصيدته الموسومة بـ"**الصحو**":

وبدا الفجر ساكنا غير موجات علتها طيرا أبابيـل بهـــق

وأرى الثلج ذاب إلا بقيـــــــ ات الدور توجهت فهي بلق[1]

تأثر بهذه اللفظة ووظفها في شعره مقتبسا إياها من قوله عزّ وجلّ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(3)﴾[سورة الفيل الآية 03].

2)- جهنّم :

وها هو أيضا يقول موظفا كلمة جهنّم في قصيدته "**بين الشك والتشكي**" وهنا يتحسر على شبابه الذي عجل بالذهاب، واعتبرها فاجعة وهما مشبها إياهما بجهنم:

يا دهر عاجلت الصبا بالقطف لم يزهر ولم يثمـر به عنقـــود

لا تنكـر الدعوى عليّ معرضـــا رأسي عليك وعارضاي شهود

فكأن هذا الهـــم منـك جهنـم وكأن هذا الشيب منك وقـود [2]

فقد تأثر هنا بالآيات التي تذكر جهنم، قال الله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**(6)﴾[سورة البينة، الآية 06].

وقال عز وجل:﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ**(23)﴾**[سورة الفجر، الآية (23)]**.

وقوله تعالى أيضا:﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15)﴾[سورة الجن، الآية(15)].

[1] المرجع السابق، ص 398.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

3)- الحج :

لقد خصّه محمد العيد ببعض شعره وتناوله من نواح جديدة ليست كلها دينية وليست كلها في الفخر بالماضي والأسف على الحاضر وليست كلها أشواقا:

الحج مدرسة التعارف شادها رب الورى وأدارها تعليمـــا

الله بالإســـــلام ألف بيننـــــا قدما ووحّد أرضنا إقليمـــا[1]

فإن الحج في نظر محمد العيد وسيلة إلى الوحدة والتفاهم، فوظف كلمة الحج متأثرا بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ(158) ﴾[سورة البقرة، الآية (158)].

وقول العزيز الحكيم:**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(189)﴾[سورة البقرة، الآية (18)].**

4)- الصلاة:

نجد محمد العيد موظفا هذه المفردة في كثير من المواضع، منها في قصيدته **"وصف فوارة"**:

يا عين جددت النشـــا ط لنـــا وبددت الفتور

فلأنت أجمـــل قينـــة غنت فأطربت الخصـور

صلـت مياهـك للإلـ ــه صلاة إشـراق ونـور[2]

متأثرا بقوله تعالى:**﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ(45)﴾**[سورة البقرة، الآية (45)].

وقوله عز وجل:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(9) ﴾**[سورة الجمعة، الآية(09)].

[1] المرجع السابق، ص 153.

[2] المرجع نفسه ، ص 51، 52 .

5)- القرآن:

أما في إحدى قصائده التي كتبها متغنيا ومادحا لعبد الحميد بن باديس وظّف هذه المفردة:

ختمت كتاب اللـــه ختمـــة دارس بصير له حل العويـــص ميسر

فكـــم لك في القرآن فهم موفـــق وكم لك في القرآن قول محرر

قبست من القرآن مشعل حكمـــة ينار به السر اللطيـف ويبصـــر

وبينت بالقـرآن فضـــل حضـــارة أقر لها كسرى وأذعن قيصـــر

أعد يا ابن باديس الحديـث وأبـده بأنعمك اللاتي بما أنت تؤثـــر[1]

فكثيرا ما كرر مفردة القرآن في هذه الأبيات مبينا كيف كان عبد الحميد بن باديس عارفا بعلوم الفقه القرآن متأثرا بقوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ **[سورة الرحمن، الآية 04]** .

وقوله عز وجل:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) ﴾**[سورة الجن، الآية (1)]**.

ويقول محمد العيد في موضع آخر موظفا مفردة القرآن:

هيهات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدل توراة وإنجيـــل

ماذا تقولون في سفر صحائفـه يزينها من فم الأيام ترتيـل[2]

6)- الدّين :

وفي قصيدته تحية مجلة **"نور الإسلام"** يقول محمد العيد مخاطبا أن الدين واحد مهما اختلفت الطوائف، فلا يجب أن تفرقهم منازعات لا قيمة لها:

يـا بني الشرق عصمة بالتـآخي فالتـــآخي مذبة للنفـــور

حكموا الدين في الطوائف وابنـوا دوركم بالرجال لا بالصخور[3]

[1] المرجع السابق، ص 146.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

[3] المرجع نفسه، ص 102.

وفي قصيدته: **"هيجت وجدي"**

وأحل بالقانـــون جرما فادحـا وأذل دين الله للدينـــار

قل لابن صهيون اغترت فلا تجر إن ابن يعرب ناهض للثأر[1]

وفي قصيدة: **"يا قلب"**

أفق يا قلب من سكر التصـــابي فلا يرضاه لي دين وســن

ودع يا قلب عنك من الأمانـــي فجـل حديثهـا رجم وظن[2]

وفي قصيدة **"تحية المسلم الجديد"**:

الديـــن إذعان لـــرب واحـــد سبحانه هو غافـــر الأثـــام

ولكـــل قوم شرعة مسلوكـــة والأنبيـــاء أدلـة الأقـــوام [3]

فقد تأثر بهما وأخذها من قوله تعالى:﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(6)** ﴾**[سورة الكافرون، الآية (6)]**.

وقوله عز وجل:﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)**﴾ **[سورة الماعون، الآية (2)]**.

وقوله تعالى:﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ(11)** ﴾**[سورة المطففين، الآية (11)]**.

7)- أسماء الله الحسنى:

إن القارئ لديوان محمد العيد يلاحظ كثرة توظيف هذا الشاعر لأسماء الله الحسنى، وسنعرض ها هنا بعضا منها:

تفيـــأ ظل الرضـــا آمنـــا وبـــاء بمغفـــرة الغافـــر[4]

---

[1] المرجع السابق، ص299.

[2] المرجع نفسه، ص333.

[3] المرجع نفسه، ص198.

[4] محمد العيد آل خليفة ، شعراء الجزائر، الجزائر، موفم للنشر 2010، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية ، ص 06.

وفي قصيدة أخرى يقول موظفا لفظة "**القهار**" و"**الرحمان**"

تبارك الله هذا الكون معتـــرف بأن صانعه رحمان قهـــار[1]

وفي قصيدته الموسومة: "**صوت من الغيب**"

فهـــــو المعـــــــز أولا وهو المعـــز آخـــــرا[2]

موظفا هنا "المعز" بتكرارها مرتين في الصدر والعجز.

ويقول أيضا:

يخلـــد الله ذو الجلال ويبقى وسوى الله منتهاه النفـاد[3]

ذاكرا هنا "**ذو الجلال**"

ويذكر أيضا اسم"**الحفيظ**" "**المجيب**" في بيتين متتاليين:

وله تضرع راغبا أو راهبـــــــا فهو الحفيظ عليك وهو الراعي

الله عز وجـــل ربك فادعـــه فهو المجيب لكل عبد داعي[4]

وفي موضع آخر نجد يوظف اسمين من أسماء الله الحسنى في نفس القصيدة:

إن الذي فرض الفروض عليهـم بالحق كان ولا يزال حكيمـا

فهو الذي يزع الشعوب مساعدا وهو الذي يسع الذنوب عليما[5]

موظفا "**الحكيم**" و"**الحليم**"

ويقول أيضا ذاكرا لفظه "**العظيم**":

مضى متهجـــدا، كالنجم يسري وجـــد يسبح اللـه العظيمـا[6]

كما يذكر اسم "**العليم**" في نفس القصيدة "**يا ابن الليل**":

---

[1] المرجع السابق، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص61.

[3] المرجع نفسه، ص121.

5 المرجع نفسه ، ص425

[6] المرجع نفسه ص: 427.

ما قدمت من خير حفـــــي فإن الله كان به عليمـــــا[1]

وفي قصيدة "**باخرة الموت**" يقول محمد العيد:

ولا تخش الوقــاع بهـا فإني رأيت الله مطّلعـا رقيبـــا[2]

موظفا لفظة "**الرقيب**".

[1] المرجع السابق، ص425.

[2] المرجع نفسه، ص427.

المطلب الثاني: التراكيب القرآنية في شعر محمد العيد.

نظرا لتعامل محمد العيد مع القرآن الكريم كان على فهم ودراية، فلق مسّ الاقتباس معظم سور القرآن، وهنا سنحاول استخراج بعض التراكيب القرآنية التي وظفها محمد العيد في شعره مقتبسا إياها من سور الذكر الحكيم، وإن اقتباس الشاعر من القرآن تم بطرق مختلفة، كتوظيفه لآية كاملة بكل ألفاظها، فبمجرد قراءتك لقصائده ستدرك كيف كان الشاعر بارعا في استيعاب المبادئ الأخلاقية والدينية وتقديمها في قالب شعري محبوب.

"فاتحة ثناء وابتهال" هي أولى قصائد محمد العيد في ديوانه التي استهلها بالحمد، وهنا نلمح تأثره العميق بالقرآن الكريم، حيث أن سورة الفاتحة يفتتح بها القرآن مع البدء بالحمد في أول آياتها، وعليه يقول في القصيدة:

حمدتك باللسان وبالجنان وحمدك غرة النعم الحسان[1]

مقتبسا هذه اللفظة قول المولى عز وجل:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1)﴾**[سورة الفاتحة، الآية(1)]**.

كما اقتبس في البيت نفسه لفظة **"الحسان"** من سورة الرحمان **يقول تعالى:** ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (69)﴾**[سورة الرحمان، الآية 68-69]**.

ويقول في موضع آخر من القصيدة عينها شاكرا وداعيا للمولى عز وجل على نعمه الكثيرة.

فأنت موفقي للخير فضلا وأنت معلمي قول البيان

فألهمني السداد ولا تزغني وجنبني بليات اللسان[2]

مقتبسا لفظة "البيان"من قوله العزيز الحكيم :﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾**[سورة الرحمان، الآية1، 2، 3، 4]**.

[1] شعراء الجزائر ، ديوان محمد العيد علي خليفة ، موفم للنشر ، ص 03 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما يقول محمد العيد في قصيدته له :"**يا بحر**"

يا بحر إن ضاق أمـــــر قد يحدث الله أمـــرا

لابـــــد من بعد عســـى أن يجعل الله يســـر[1]

مقتبسا ذلك من القرآن الكريم، حيث **يقول الله تعالى**:

﴿(4)فإن مع العسر يسرا (5)إن مع العسر يسرا﴾[سورة الشرح، الآية 4، 5، 6].

وقد جاء في قول الشاعر:

أعيذكم بالله أن تتقسموا هوى، فذهاب الريح عقبى التقسم

في هذا البيت اقتباس من الآية الكريمة في **قوله عز وجل:﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (46)﴾[سورة الأنفال، الآية (46)].**

ويقول أيضا:

فتواصوا بالحق والصبر فيه والتواصي تضامن وجهاد [2]

وهذا لاقتباس من سورة العصر **يقول تعالى:﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ [سورة العصر، الآية (3)].**

وفي بيت آخر يقول :

وقعدنا مع الخوالف مخزى بضروب من الأذى ونكاد[3]

مقتبسا ذلك من قول الرحمان:**﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ(37)﴾[سورة البقرة ، الآية (37)].**

[1] المرجع السابق، ص 67.

[2] المرجع نفسه، ص 118.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما يقول في:

كنتم خير أمة أخرج الله للبشر[1]

فهذا البيت اقتباس من الآية الكريمة:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ(110)**﴾**[سورة التوبة، الآية (110)]**.

كما نجده يقتبس من سورة البقرة **قوله تعالى**:﴿**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (114)**﴾**[سورة البقرة، الآية (114)]**.

حيث قال في البيت:

إلى الحق ولّو ايها القوم وجهكم إلى الحق،لا يأخذكم فيه لائم[2]

كما قال في بيت آخر:

ومن يوق شح النفس لم يك آثما ولا خاسرا إن جاء بالخسر آثم[3]

متأثرا بقوله تعالى :﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[سورة الحشر، الآية (09)].

وفي موضع آخر نجده يقتبس تركيبا كاملا لآية في قوله تعالى:

﴿**فَزَادَهُمْ إِيمَانًا (173)وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[سورة آل عمران، الآية (173)].

حيث قال الشاعر:

من قال لا تأمنوا الغدر قلنا حسبنـــا الله، ونعم الوكيـــــل [4]

ويقول أيضا:

سر مع التوفيق فهو الدليل حصحص الحق وبان السبيل [5]

---

[1] المرجع السابق، ص 149.

[2] المرجع نفسه ، ص 136.

[3] المرجع نفسه، ص 137.

[4] المرجع نفسه، ص 131.

[5] المرجع نفسه، ص 132.

متأثرا بقول العزيز الحكيم في سورة يوسف :﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ **[سورة يوسف، الآية (51)]**.

وفي قصيدة أخرى يقول محمد العيد:

ألا تذكرون حفاة عـــراة أصابهم الفقــر بالفاقـــرة

ألا تكرمون، ألا تنقـذون وجوها تكبكب في الحافرة[1]

ففي البيت الثاني ها هنا اقتباس من الآية الكريمة :﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ **[سورة النازعات، الآية (10)]**.

وفي موضع آخر يقول محمد العيد:

ألا تكن قانعا وقل ربي زدني منك، علما ولا تمل للتواني[2]

وهذا البيت اقتباس من قوله تعالى :﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[سورة طه، الآية (144)].

إن ديوان محمد العيد مليء بالأمثلة ولكننا نكتفي هنا بهذه الأبيات من غيرها.

[1] المرجع السابق، ص 157.

[2] المرجع نفسه، ص 165.

المبحث الثاني: الاقتباس الرمزي القرآني

المطلب الأول: مفهوم الرمز (لغة واصطلاحا)

أ)– تعريف الرمز لغة:

وجاء في لسان العرب عن التعريف اللغوي للجذر (رمز) ما يلي:

(رمز)"الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز في اللغة كل ما أشار إليه بما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه باليد، أو بالعين"[1].

رمز: يَرمزُ– يَرمزُ– رمزا وفي ترتيل العزيز قصة زكريا عليه السلام ذلك في قوله تعالى:﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)**﴾**[سورة آل عمران، الآية (41)]**.

ومعنى قوله تعالى أي إشارة لا يستطيع النطق فيه، "وقال مالك عن زيد بن اسلم "ثلاث ليال سويا" من غير حرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه ليال إلا رمزا أي إشارة"[2].

وجاء في معجم الصحاح تعريف كلمة الرمز:

لرمزُ: الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب وقدر رَمَزَ يَرمُزُ ارتمز من الخرابة أي اضطرب منها"[3].

ب)– اصطلاحا:

تعرض مفهوم الرمز لعملية المد والجزر في تحديده، فوردت عدة تعريفات واختلفت باختلاف وجهات النظر من بينهم قول إبراهيم رماني: "فالرمز لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة، وهي الإطار الفني الذي يتم

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب، بيروت، المكان ص 12،23.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم،ج1، دار النصر للطباعة و النشر، القاهرة، مصر.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، تاج اللغة العربية ج 3، تح أحمد عبد الغفور ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1376 هـ ، 1965 ، ص 880 .

فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته، هو تجسيم للانفعال في قالب جمالي"[1].

وهذا قدامى بن جعفر يقول عن الرمز: "إنه إصلاح بين المتكلم وبعض الناس"[2].

" ينظر إليه على أنه: نوع من أنواع إشارة وبعده مرادفا للإشارة الحسية وأنه استعمل حتى صار مثلها أو نوع منها"[3].

وفي الدراسات الحديثة فقد أخذ الرمز أبعادا مختلفة، حيث يعرفه كارل بيونج:

"هو وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادلة لفظي هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"[4].

أما أدونيس يعرفه قائلا: "بأنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي القصيدة التي تكون في وعيك بعد قراءة القصيدة أنه البرق الذي ينتج للوعي أن يستنشق عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المفعم واندفاع صوب الجوهر[5].

يعرفه محمد غنيمي هلال: "الرمز معناه الإيحاء أي التعبير عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإشارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح "[6].

ج)– آليات استخدام الرمز:

يبنى السياق الرمزي من دلالتين، إحداهما حقيقية، والأخرى غير حقيقة، يتلاعب الشاعر بهما، ونجد أن معظم الشعراء يستخدمون رموزهم في الأغلب بإحدى الوسائل:

---

[1] إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، الجزائر، ط1988،1م، ص167.

[2] درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، القاهرة،ط1982،2، ص 44.

[3] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محالس الشعر و آدابه و نقده ، تج ، محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5، 1981، ص 304.

[4] شايق عكاشة ، مقدمة في نظرية الأدب الديوان ، المطبوعات الجامعية بالجزائر ، ص 85.

[5] أدونيس زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص153.

[6] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1983 م، ص 398.

1- **المراوحة:** " أن تتناوب دلالتان الحقيقية وغير الحقيقية، فيتحدث الشاعر مرة عن الدلالة الحقيقة ثم يعود لينتقل منها إلى الدلالة غير الحقيقة ثم يتحدثان أو ينفصلان، وقد أكثر الشعراء الفلسطينيون المعاصرة من المراوحة بين الحبيبة والوطن، أو بين الأم والوطن.

2- الاستشفاف: وهو أن يطرح الشاعر بين أيدينا الدلالة الواقعية، ومن خلال تلك الدلالة نستشف المعنى الرمزي، وباستطاعتنا أن نلتقي الدلالة الواقعية وأن نتوقف عندها غير متجاوزينها إلى المعاني التي نكمن خلفها"[1].

3)- الإنابة: وهو أن يضع الشاعر كلمة تنوب مناب موقف فكري أو شعوري مكتمل تستحضره في أذهان المتلقين، وتجدر الإشارة إلى أن الدلالتين الواقعية والرمزية تقفان جنبا إلى جنب في حركة تفاعل مستمر في حالة إنابة ويتمحور عملها في تغذية الجو الشعوري العام الذي يولده البناء الفني المتكامل للقصيدة[2].

د)- أنواع الرموز:

1)- الرموز الأسطورية:

يعد الرمز الأسطوري أكثر شيوعا في الأدب العربي الحديث والمعاصر إذ يحيل على دلالات متنوعة، اقتبسها الشاعر العربي من أكثر من نبع، فبعضها من الحضارة اليونانية وبعضها من الحضارة البابلية، وأخرى من التراث العربي القديم، فنجد في شعرنا توظيف: "سيزيف"، و"أدونيس" و"عشتار" و"تموز" و"العنقاء" و"امرؤا القيس" و"خالد بن الوليد"[3] وغيرها.

[1] عدنان حسين قاسم ، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ص194 -195 .

[2] المرجع نفسه، ص 197.

[3] علي عشري ، استدعاء الشخصيات التراثية ، في الشعر العربي المعاصر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر ، ص64 .

2)- الرموز التاريخية:

النصوص الشعرية الخالدة في تلك النصوص المؤثثة بالصور الخلابة والاستعارات اللافتة والرموز الدّالة، بالإضافة لاحتوائها الأداتي لمعطيات التاريخ ودلالات التراث التي تستدعه وتخلصه من لحظته التاريخية وتنفخ فيه روحا جديدة، حسب المعطى الراهن والمدعي الشعري[1].

3)- الرموز الصوفية:

إن استخدام الرمز الصوفي والأسطوري يعدان شكلان للاتجاه نحو أعماق أكثر اتساعا والبحث عن المعنى أكثر يقينية، على رأي أدونيس والعودة إلى الكتابة الصوفية نوع من العودة إلى اللاشعور الجمعي، إلى ما يتجاوز الفرد إلى الذاكرة الإنسانية وأساطيرها إلى الماضي بوصفه نوع من اللاوعي.

وقد تغلغل الرمز الصوفي في الشعر الجزائري – كما العربي – يبرز في أشكال متنوعة فتجلى في بمختلف مظاهره في نمطين رئيسيين:

أولهما: الحب الصوفي أو ما يتعلق به من تلاوين الغزل.

ثانيهما: الخمريات وهو من أهم الرموز الصوفية التي استعملها الشاعر الجزائري[2].

4)- الرموز الدينية:

أي توظيف سورة من القرآن الكريم أو قصص الأنبياء عليهم السلام، وبعض الأماكن ذات الدلالة الدينية في المتون الشعرية، فالشاعر يستغل ذلك الموروث الديني، ويوظفه في قصائده لا بهدف الاسترجاع فقط بل ليمنحه بعدا إجماليا ودلاليا.

5)- الرموز الطبيعية:

وهو استخدام الشاعر لعناصر الطبيعة لعبر بواسطتها عن أحاسيسه، وعما يختلج فؤاده من مشاعر وانفعالات، واستخدامه لهذه العناصر لا يخرجه عن دائرة الشعر الواقعي، وإن كانت هذه الخاصية من خصائص الأدب الرومانسي[3].

---

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص 575.

[2] عبد الحميد هيمه ، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر ص 155.

[3] عدنان حسن قاسم ، التصوير الشعري ، رؤيا نقدية لبلاغتنا العربية .

المطلب الثاني: تجلي الرمز في شعر محمد العيد

هنا سوف نوضح توظيف الرمز القرآني في شعر محمد العيد، حيث يلجأ الشاعر أحيانا إلى الرمز بدل الصراحة لأسباب سياسية واجتماعية ولذلك كان شعره الرمزي واضح مفهوم قريب ظاهر الأهداف متعدد المعاني، وحسبنا أن نقول إنه رَمَزَ إلى الاستعمار والاستقلال والصبر والمقاومة والأخلاق وغيرها بأسماء وصفات مختلفة [1] ونظرا لثقافة الشاعر الدينية وظف في شعره أسماء وصفات الأنبياء صلوات الله عليهم، إضافة إلى ذلك قام بتوظيف ألفاظا دينية.

أولا: أسماء الأنبياء

1- شخصية إبراهيم عليه السلام :

ومن الشخصيات التي دارت في شعر محمد العيد شخصية الخليل إبراهيم عليه السلام، إذ أخذ من حياته رموزا لكثير من المشاعر آراء لإفصاح عنها، ذلك أن حياته كانت مصدر إلهام شاعرنا، فتلبية إبراهيم عليه السلام لأمر ربه في التضحية بولده إسماعيل هي رمز الامتحان والصبر على البلاء الذي يليه الفرج:

حيّ عيد الأضحى وحيّ الضحايا كـلـهـا والذبيح في الأنبيـــاء

يــوم لبّــى الخليـل دعـوة مولاه لذبـح ابنه وحمـــل البـلاء

فـإذا الكبش منه في يد جبريـ ـل قريـب مـقـدّم للـفـــداء

هـكـذا يكشـف البـلاء فصبـرا ليس عقبى البلاء غير الرخـــاء[2]

ومن خلال هذه الأبيات، نلاحظ كيف قارن الشاعر تضحية الشهداء بالنفس و النفيس حبا للوطن، ومن أجل نيل حريتهم بتضحية إبراهيم عليه السلام طاعة لأمر به وحبا فيه، وهذه عاقبة الصبر بعد الإمتحان الصعب، فليس بعد الضيق الشديد إلا الفرج الأكيد، مستلهما أبياته هذه من قوله عزّو جل:﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ

[1] ينظر: أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ص 214، 215،216.

[2] المرجع نفسه، ص 398

الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(107)﴾[سورة الصافات، الآيات 104: 105، 106، 107].

يقول أحد الدارسين معلقا على ما فال الشاعر:" فإذا ما نظر البالغون إلى هذه المفردة (خليل)، نظروا إليها على أنها تورية وكفى، بينما نشعر نحن في هذه بدلالة مشحونة رامزة إلى كمال المحبة ونهايتها، لأن إبراهيم عليه السلام رفض أن يعبد هذه الآلهة الآفلة، واهتدى إلى حب الله الإله الواحد الذي لا يزول فتبادل حبه الذي لا يتبدل ولا يحول، وكان شاعرنا كذلك في حبه وخلته "للطيب العقبي" في محنته.[1]

فكذلك الشاعر لا يحب أن يغيب عن صاحبه:

لم يزل طول المدى مستحكما بيننا حبل من الود متين

لك إلفٌ ليس ينسى إلفه وخليل لا يحب الآفلين[2]

قال الله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)﴾[سورة النساء، الآية 125].

2- شخصية يوسف عليه السلام:

لقد مرت الجزائر بظروف عصيبة وحالة مزرية إبان الاحتلال الفرنسي فوقف محمد العيد بدوره وفي شعره يرجو من المحسنين إغاثة المحتاجين، فالجوع قد فشا ، والعيش أصبح عسيرا على كثير من الناس وقد شبهها محمد العيد وكأنها سنين يوسف العجاف الغابرة.

رجال الشعور أفيضوا البرورَ وقوا الأنفس القسوة القاهره

قد استنفر الناس داعي الحان فكونوا طليعته الناصره

فشا الجوع واشتد عسر المعاش وعادت سنو يوسف الغابره

[1] شلتاغ عبود، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص 252 .

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، مكتب الدراسات، ص159.

وعمّ الكساد عروض البلاد فسائر صفقاتها خاسره[1]

متأثرا بقوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48)﴾[سورة يوسف، الآيات: 46،47،48].

وها هو محمد العيد يحي الشعب الجزائري بعد خروجه من الحرب الضروس التي كانت في شدتها كالسنوات السبع الشداد التي مرّت بها مصر:

فكان على الأعداء عملاق ثورة ومسعر حرب في معاركه الحُمرِ

سنو يوسف السبع الشِّداد تصرّمت وأعقبها عام الإغاثة والعصر[2]

مقتبسا هذا من قوله تعالى :﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ(49) ﴾[سورة يوسف، الآية :49].

وفي موضع آخر يقول :

زفّ البشير إليه بشرى نصره من بعد عدوان أطال فأضجرا

حيّا بنا كقميص يوسف وجهه فرأى (يعقوب) الضياء وأبصرا

وهنا يصف الشاعر البشرى التي زفت إلى الشعب الجزائري، و هي كانت الإعلان عن الاستقلال، واسترجاع الحرية بعد سنين الجمر والعذاب التي ذاقها، فكانت بمثابة قميص يوسف الذي ألقي على وجه يعقوب فارتدّ بصيرا، مستلهما هذا من قوله تعالى:﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا

[1] المرجع السابق : ص 229.

[2] المرجع نفسه: ص394.

أَن تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96)﴾[سورة يوسف، الآيات : 93،94،95،96].

3- شخصية موسى عليه السلام:

يستلهم الشاعر هذه الشخصية للتعبير عن أفكاره والإفصاح عن مشاعره، حيث يقول في رثاء أحمد شوقي، مبينا دوره في النهضة الأدبية العربية، وما أعقب عهده من ازدهار وإحياء، ودليل أن اللغة العربية أضاءت ما حولها مثلما أضاءت نار موسى – عليه السلام- ما حولها:

أتت الفصحى فرقّت وزفّت مثلما يأتي طيـــور البكـــــور

وأضاءت حولها فهي نـــار والورى موسى وشخصك طـــور [1]

متأثرا بقوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)﴾**[سورة النمل ، الآية 07]**.

وقد تكون نار موسى رمزا للهداية بعد الضلال، أو الاهتداء إلى الحقيقة بعد طول بحث. وفي موضع آخر يقول محمد العيد:

(لادمرال) الحر حام جنبهم ثابت العزمة كالطود الرّكيـــــن

سنّة الله انتشـــال المبتلى من يد البلوى ولو من بعيد حين

فاز موسى بالمناجاة بهـــا وبتسخير العصا في طور سنيـن [2]

فالشاعر يعقد مقارنة بين عصا موسى الخارقة للعادة، وصنع (لادميرال)[3]الذي أفحم الحكومة الفرنسية الحجة لينجي الشيخين(الطيب العقبي)، (عباس التركي) من ظلمات السجون وأغلال الظلم والاضطهاد، فعصا موسى – عليه السلام – أمره الله أن يشق بها البحر لينجو وقومه من ظلم فرعون

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة،مكتبالدراسات،ص414.

[2] المرجع نفسه، ص 158، 157.

[3] لادميرال: محامي فرنسي دافع عن الشيخين (الطيب العقبي) ، (عباس التركي) ضد الحكومة الفرنسية .

وسحرته وجبروته، فقد تأثر بهذا من **قوله عزّ وجلّ**: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (53)﴾**[سورة الشعراء، الآية 63]**.

4- شخصية النبي سليمان عليه السلام:

لقد تأثر الشاعر محمد العيد أيضا شخصية النبي سليمان عليه السلام وهو نبي أرسله الله إلى نبي إسرائيل، وتولى الملك بعد وفاة والده داود عليها السّلام، وكان حاكما عادلا.... النّاس يقضي بينهم بما أنزل الله له، فسخر له أشياء كثيرة كالإنس والجن والطير والريّاح يعملون له ما يشاء بإذن ربّه وإن عصى أحد منهم نبي الله عذبهم عذابا شديدا يقول محمد العيد في قصيدة "مناجاة" بين أسير وأبي بشير ".فقـــال:

لقد أتيتـك من بعيـــــــد فأصغ إليّوأرو عن الخبير

كمـا أصغى سليمان قديمـا إلى أنباء هدهده الصغير[1]

كان لسليمان في هذه الأبيات يتضح توظيف محمد لشخصية النبي سليمان عليه السّلام وقصته مع الهدهد متأثرا بها، فقد كان النبي الله جنود من الجن والإنس والطير، وحدث أن تفقه حال الطير المسخرة له وهو هدهد متميز معروف فلم يجده فتوعده بعذاب شديد له تأديبا له في حال لم يأته بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته، فمكث الهدهد زمنا غير بعيد تم عاد إليه بخبر مفاده أن أهل سبأ تحكمهم امرأة يعبدون وإياها الشمس ويعرضون عن عبادة الله ، بقول الله تعالى:﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[سورة النمل: الآيات 20،21، 22]

5- شخصية النبي يونس عليه السّلام:

وظف الشاعر اسم "يونس" عليه السّلام وهو نبي من أنبياء الله، فقال مخاطبا جبل "أبي منقوش" الرابض حول "بسكرة" مشتكيا:

رماني حول سفحك موج دهري أسـيرا بـعـد أحـداث طـوال

[1] المرجع السابق، ص423.

فعشت به كيونس في سقام لدى قومي، ولكن في الغزال.[1]

واصفا محنته وما عاناه من عذاب نفسي أيام إقامته الإجبارية إبان الحرب التحريرية بمدينة "بسكرة" وهي تشبه في عزلتها محنة سيدنا يونس عليه السلام وهو يقاسي من سقام العلّة الجسدية، وعذاب العزلة النفسية وهو بين قومه وذويه.

يقول الله تعالى:﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[سورة الصافات:139]

وقوله عز وجل:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[سورة يونس: 98]

6- شخصية عيسى عليه السلام:

يقول محمد العيد:

تبارك نصر البطولات شاهدٌ وعيدٌ به عاد الأمير المجاهـــد

تبارك عيد النصر عاد بآيـة كآية (عيسى) ما لها اليوم جاحد

رفات كريمٍ للممات مفارق وميتٌ عظيم للحيـــاة معـــــاود[2]

هنا الشاعر يعبر عن فرحته بنقل جثمان الأمير عبد القادر من سوريا وكأنه بعث من الموت، والعودة للخلود كما هو عيسى عليه السلام خالد في التاريخ الديني، فهو تلميح إلى خلود المناضل بأعماله وتضحياته في النفوس واعتبره عيد نصر للجزائريين، متأثرا بقوله عز و جل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)﴾

[سورة آل عمران، الآية :55].

[1] المرجع السابق: ص425.

[2] المرجع نفسه : ص 158 ، 157 .

وفي موضع آخر يقول في قصيدة رائد الشعب التي رثى فيها محمد البشير الإبراهيمي:

هل كنت عيسى الذي أحيا الرفاة بما أحيا وبدّل الآجال بآجال؟[1]

هنا يبين محمد العيد فضل البشير الإبراهيمي في بعث الحياة في كثير من الميادين، سواء في مجال الإصلاح، والأدب واللغة العربية، فكان بذلك كعيسى الذي أحيا الموتى مستلهما هذا من

قول الله تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (110)﴾[سورة المائدة ، الآية : 110].

7- شخصية النبي محمد عبيه الصلاة والسلام:

مما لا يخفى عنا أن الشاعر محمد العيد استفاد من الاقتباس القرآني في تجربته الشعرية، فكان يكتب بوحي من القرآن وتحت تأثيره، فنجده وظّف أسماء الأنبياء والرسل، ومحمد صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة تأثر بأخلاقه وحث على التأثر بها، كيف لا وهو خير الخلق، كان أحلم الناس وأشجعهم وأعدل الناس وأعفهم، ينفذ الحق ويجيب دعوة الحر والعبد، أشد الناس تواضعا وأبلغهم من غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من أمور الدنيا، وفي شعر محمد العيد جله إن لم نقل كله يظهر تأثره بشخص النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة للعالمين مادحا إياه يقول في أنشودة الوليد:

بمحمـــد أنعـلّـــق وبخلقه أتخلـــق

وعلى البنين جميعهـم في حبه أتفـــوق

[1] المرجع السابق: ص 453.

إن التعلـق بالـرســول ودينـه بـي ألْيـــقُ[1]

وفي القصيدة نفسها يضيف قائلا:

لا يوم أشرق فيه من يـوم الرسول وأشـرق
أهلا بشهر بالقلـــو ب وبالنواظـر يرمــق
أنا منذ غبت إليك من حـر الهـوى أتشـوق
عرف النبي محمـــد يُشتـمّ منك وينشـــق
مــازلت فيه ولن أزا ل بعـهـده أتـوثّـــق
يا خير من تعني الي ـه الهاديات وتعنـق[2]

يتضح لنا من خلال الأبيات المذكورة أعلاه أن محمد العيد متأثر بشخصية محمد عيه الصلاة و السلام ومتعلق به ويتحدى أن يتفوق عليه أحد في ذلك فهو القدوة والمثل لنا جميعا، بعث متمما لمكارم الأخلاق يدعو إلى الحق، يقول أيضا في قصيدة حميتك يد المولى.

تتجلتم يا قوم فعل محمد وما فيكم من كان يشبـه فعـلا
وحمّلتم يا قوم هدي محمد من الزيع أقوالا ينوء بها حملا[3]

وفي قصيدة **"يا أمة الخير"** يقول محمد العيد:

يـحاك شهر الربيع بكل حسن بديـــع
مذكـرا برســـــول للعالمين شفيـــع
وكـان خيـر رسـول للمشركين قريـــع
أسـدى إلينا صنيعا ما مثله من صنيـــع
وجاءنـا لكتـــاب من الإلاه رفيـــــع

[1] المرجع السابق، ص166.
[2] المرجع نفسه، ص 167.
[3] المرجع نفسه، ص 123.

ما انفك يأسر منـــا فؤاد كلّ سميـــع
يا أمة الخير لبـــيّ رعـاءه وأطيعـــــي
ولا تهمني كنـــوزا من آية أو تصنيـعي
محمد ليس يرضـى أن توصمي بشيـع
محمد ليس يرضـى أن تخلدي لوضيـع[1]

يختم القصيدة بـ:

هو المشفع فينـا يوم الحساب المريع
فـلا عدمنـاه نورا ورحمـــة للجـمـيـع[2]

– محمد صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين وخير رسول للمشركين سعا إلى الدعوة للإسلام و نشر تعاليمه رغم ما تلقاه في سبيل ذلك من ردود شنيعة إلا أنه صبر على أذى قريش وبطشهم فكان في سبيل ذلك من ردود شنيعة إلا أنه صبر على أذى قريش وبطشهم فكان بشير ونذيرا.

يقول تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: الآية 28]

فكانت خير أمة أنزلت، أمة محمد الشفيع لهم إلى يوم القيامة، ونور يستضاء به ورحمة مهداة للعالمين. بقول الله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[سورة الأحزاب: الآية 21]

ثانيـا: تجلي رمزي الصبر والأخلاق

أ– رمز الصبر: شعر محمد العيد حافل برمز الصبر سنحاول عرض بعضا منها فيما يلي:

يقول في قصيدته الموسومة بـ **"أبا المنقوش"**

تلقنهم بصخرك درس الصبر وتحفزهم بيأسك للنضـال

[1] المرجع السابق، ص174.
[2] المرجع نفسه، ص175.

أبا المنقوش خبرني فإني أحب شفاه مثلك بالسؤال[1]

في هذه القصيدة يخاطب محمد العيد جبل "أبو منقوش" القريب من بسكرة جنوب الجزائر في أيام إقامته الجبرية بالنسبة إليه رمز للصبر والصمود.

مضيفا في الأبيات من القصيدة:

وقل لابن الجزائر كن صمودا فنصر الله للبأساء تالي

تحد الأقوياء بكل صبرا ووال الاحتجاج ولا تبال[2]

وهنا محمد العيد بحث الجزائريين على التحلي بالصبر عند الشدائد فهو خير سلاح لردع المستعمر لقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ(7)﴾

[سورة محمد، ص 07]

وفي قصيدة أخرى يقول:

نحن صُدق عند اللقاء وصبرٌ في اشتداد البلاء والأهوال

كل من كان مثلنا فهو رمز صادق للجزائري المثالي[3]

في هذه الأبيات يتحدث محمد العيد باسم جيش التحرير الوطني ، ومن خلال هذا يبين كيف كانوا رمزا للصبر بالرغم من بطش وظلم المستعمر الجائر .

ويقول أيضا:

هكذا يكشف البلاء فصبرا ليس عقبي البلاء غير الرخاء[4]

متأثرا بقوله تعالى:﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ(2)﴾[سورة الرعد، 24].

وفي قوله:

لك الله فاصبر بدار النكاد

[1] محمد العيد، شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد، موفم للنشر، الجزائر 2010، ص425.

[2] المرجع السابق، ص 426.

[3] المرجع نفسه، ص 427.

[4] المرجع نفسه، ص 436.

فكل متـــــاع بهـا للنفـــــــاذ[1]

يتضمن قوله هذا أن الله بمعية الصابرين في قوله عز وجل:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[سورة البقرة، الآية 153].

ب- رمز الأخلاق:

الأخلاق من أهم الركائز التي تبنى عليها الأمم الإسلامية، والتي طالما حثنا عليها ديننا الحنيف، وها هو محمد العيد يتغنى بها ها هنا في شعره :

واسعن بالله يـمـنـحـــك عـــــونا وكـفـا بالله من مستعـان

وعلى الصدق فابن و اعمل بعلم لا بجهل يجر للخســـران[2]

وعليه فإن الشاعر بحث على التحلي بخلق الصدق، كما نوه إلى ضرورة العلم و العمل به، ذاما الجهل يقول تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾**[سورة التوبة، الآية 119]**.

ويقول في نفس القصيدة:

أقم العدل بين جنسين واجنح للذي يستوي به الجنحـان[3]

فهو هنا يبين وجوب العدل بين الجنسين (الذكر والأنثى) في معظم الحقوق الاجتماعية، قال الله عز وجل:﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[سورة النحل، الآية 90].

كما تأثر محمد العيد بقول الرحمن:﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[سورة المائدة، الآية 02].

حيث يقول:

---

[1] المرجع السابق، ص 54.

[2] المرجع نفسه، ص 266.

[3] المرجع نفسه، ص 268.

وإذا ما تعاونا في مرام فعلى البر لا على العصيان

بين هذا و هذه من عفاف برزخ حاجز فلا يبغيان[1]

فهو بذلك يحث على التعاون وعلى فعل الخير لا على ما يغضب الله تعالى، فهذه صورة من صور الأخلاق السامية التي يحثنا عليها الإسلام.

يقول أيضا :

ما بال قوم بدعوى الراحة احتكموا وهم يشنون باسم الرحمة الفزعا

الحكم لله كم غلت يدا يده والأمر لله كم أعلى و كم وضعا[2]

موظفا ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿**وما كان لنبيّ أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[سورة آل عمران، الآية 159].

ويقول أيضا الشاعر في قصيدة "هذه قمة الفتوة"

وجه النشء للصلاح و حبب للبنات العفاف والشبان

إنما يسعد البلاد شباب ذو حفاظ لعرضه وصيان

لا شباب باع الحياة وأمسى بين حان يحسو الخمور وخان

أو شباب يظل هيمان يلغو بالأغاني معاكسا للغواني[3]

يحث الشاعر هنا الشباب للحفاظ على العرض والتحلي بالحياء والعفة ذكورا وإناثا ومنذ نشأتهم، ويحذرهم من التأثر بملذات الدنيا ولهو الحديث لا يؤدي بهم إلى الانحلال الخلقي، فهو يأمل خيرا في شبابنا ويرجو أن يكونوا خير سلف لخير خلف.

[1] المرجع السابق، ص 268.

[2] المرجع نفسه، ص 255.

[3] المرجع نفسه، ص 269.

الفصـــل الثـالث

الإيقـــــاع القرآنـي في شعـر محمـــد العيـــد

المبحث الأول: الإيقاع القرآني مفهومه وأشكاله.

المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في القافية.

المبحث الأول: الإيقاع القرآني مفهومه وأشكاله

المطلب الأول: مفهوم الإيقاع القرآني

جاء في لسان العرب ما يأتي[1]:

وقعت الدّوابُ و وقَعت: ربصت، ووقعت الإبل ووقَعت (مشدّدة)اطمأنت بالأرض بعد الريّ.

ويبدو أن هذا هو المدلول الحسي الذي اشتقت منه لفظة الإيقاع، ثم أصبحت تستعمل للحرب والمطر كما جاء في لسان العرب[2]، والوقعة والوقيعة: الحرب والقتال، وقيل المعركة والجمع الوقائع وقد وقع بهم وأوقع بهم في الحرب، والمعنى واحد، إذ وقع قوم بقوم قيل: واقعوهم وأوقعوا بهم إيقاعا، ويقال سمعت وقع المطر وهو شدة ضربه الأرض إذا وبل، أو يقال الدواب وقعا ووقوعا.

ومن كل هذا يمكن القول: أن الإيقاع هو أحداث صوت أو جرس خافت أو رفيع، فالدواب ومنها الإبل عندما تربص تحدث صوتا، والحركة التي تحدثها المعارك والأمطار تتسم بعلو الصوت ذي الإيقاع القوي الرفيع، ثم أخذ الإيقاع مفهوم الجرس الذي يحدثه اللحن ولذلك جاء في لسان العرب ما يأتي[3]:والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها.

والإيقاع كلمة تستعمل كثيرا في مجال الموسيقى والشعر، ورد في لسان[4] العرب: الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها وسمي الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب "الإيقاع"

---

[1] الإمام العلامة بن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "وقع".

[2] المصدر نفسه، مادة "وقع ".

[3] المصدر نفسه، مادة "وقع".

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج 15،مادة:"وقع" ،ص 263.

ويربط ابن منظور في معجمه الإيقاع بالغناء والألحان، لما للغناء وللحن من علاقة وثيقة بالشعر، فالشعر إذ يشاطر الموسيقى في استعمال هذا المصطلح.

المطلب الثاني: أشكال الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم

1- الإيقاع بالتكرار:

في القرآن تكرار طبيعي، خال من التكلف وهو يساير مقتضيات التعبير الفني وتلحظه في أشكال متعددة، تارة في آية كاملة وأخرى في جزء من العبارة أو أجزاء العبارة وحروفها، فإن التكرار بشتى أنواعه يحدث نوعا خاصا من الإيقاع تستلزمه العبارة لأغراض فنية ونفسية واجتماعية ودينية فعلى سبيل المثال نجد في سورة الجن التكرار:"**أنّ**"في بداية كل آية، إبتداءا من الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**﴾**[سورة الجن، الآيات من 3إلى 14]**.إلى الآية رقم أربعة عشر، وقد وردت فيها مفردة "**أنّه**" وجمعا "**أنّا**" و"**أنهم**" وفي القرآن الكثير من الآيات التي كررت فيها "**أنّ**" إفرادا وجمعا، وأن الإيقاع الذي تحدثه داخل العبارة يستمد تغلغله داخل النفس، من قوة تأكيدها للمعنى ونوع الموضوع أيضا، بحيث شعرنا بضغط قوي من الفك الأعلى، مشوّب بنغمة إيقاعية، تحمل أنينا ينطوي على توبيخ خفي موجه إلى بني آدم، حيث ضعف النفوس، وسرعة التغلب، وعدم التصديق والتسليم، جاء في معجم مقاييس اللغة، "**أنّ**" وأما الهمزة والنون مضاعفة فأصل واحد، وهو صوت بتوجع قال الخليل: "أن الرجل يئنّ أنينا وأنه وأنّا ، وذلك صوته بتوجع"[1].

2- الإيقاع بالصيغة :

إن لصيغة التعبير من حيث الدقة وحسن الاختيار والإحكام وقوة السبك وجمال التناسق، الأثر في إحداث الإيقاع داخل العبارة ،وإن مفردات العبارة خاصة التي تحمل دلالات تنسجم ودلالة العبارة بوجه عام

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ) معجم مقاييس اللغة، ج1، ص 30.

تكيف نغمة الإيقاع، وتحيله إلى طابع موسيقي يتناسب ونوع تموجات الإيقاع داخل العبارة، ولذلك نجد صيغة "ولأذْبحنّه"، "وليأتينّي" في قوله تعالى:﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾**[سورة النحل، الآية 21]**.

وهي مؤكّدة باللام والنون الثقيلة، تحدث جرسا وضغطا عند النطق بها وهي تشير بذلك إلى القوة والعنف الذين يسودان جو الآية، وتمدنا بإيقاع يمتزج مع أجراس الرقة التي تحدثها المطرقة وينتهي بنغمة تتناسب مع قوة المعنى ومغزى المحتوى.

إن صيغ المبالغة تحدث إيقاعا خاصا، ذا جرس يتصل بالنطق والسماع، ونغمة مشوبة بالقوة والعنف، "كبّاراً" في قوله تعالى:﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾**[سورة نوح، الآية22]**.

التي قُرئت بالتحقيق [1]ومعنى الكبّار: أكبر من الكبير، ونحوه طوال طوّال[2] إن هذه الصيغة وهي صفة للمكر، تفيد بلاغة في المعنى ووقعا شديدا على النفس وإيقاعا تعبيرا عن شدة مكر الكفار وغنوهم ، وإن تكرار الكلف ثلاثة مرات يعطي نغمة الإيقاع بتموجاتها.

3- الإيقاع بأسلوب العرض القرآني :

إن ما يفتتن به دارسو القرآن، أسلوبه في العرض، تنوعه في آثار النفس والمخيلة، وتحريك العقل، حيث يتخذ في ذلك أشكالا متعددة[3]، فهو تارة يعرض الحقيقة عرضا علميا قصد الإيضاح والنبيين، وثانية يتخذ أسلوب الاستفهام أو الحوار أو الجدل أو الاستنطاق لمخاطبة النفس مباشرة، وثالثة يتخذ أسلوب التحريك والإثارة للتأمل والتدبر وحث النفس على التذكر، ورابعة يهتم بأسلوب التقابل بين العبارات والصور ...

[1] الزمخشري، الكشاف، الجزء الرابع، ص 619، 57.

[2] المرجع نفسه، الجزء الرابع، الصفحة نفسها.

[3] عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص 244.

نلمس في الإيقاع ضربات حادة، تدركها النفس، وتشاركها في ذلك حاسة السمع بأسلوب التنبيه والتساؤل في﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وأسلوب الرد العنيف ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثم كلا سيعلمون﴾ وذلك في قوله تعالى:﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) »[سورة النبأ، الآيات 1،2،3،4، 5].

إن الإيقاع هنا يحمل صفعات نفسية بواسطة "كلاّ...ثم كلاّ "فتهتز لذلك النفوس ويتبع القرآن هذه الاهتزازات بالتساؤل الشخصي ألم نجعل الأرض مهاداً.

المطلب الثالث: أثر الإيقاع القرآني في شعر محمد العيد

يستثمر الشاعر محمد العيد الإيقاع القرآني في نظم أبياته يقول في قصيدته: "هذه قمة الفتوه"

بين هذا وهذه من عفاف برزخ حاجز فلا يبغيـــان

بين هذا وهذه واجبـــات وحقوق عن فعلها يسألان [1]

فهو هنا يبين للجنسين ما لهما من حقوق وما عليهما من واجبات وأشاد قبل هذين البيتين إلى ضرورة التعاون على البر وترك العصيان ومثل ذلك بالبرزخ لقوله تعالى:﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ **[سورة الرحمن، الآية 20]**.

فماء البحرين يلتقيان – العذب والمالح – بينهما حاجز فلا يطغى أحدهما على الآخر بل يبقى العذب عذبا، والملح ملحا.

– يواصل الشاعر القول في قصيدة أخرى: "فاتحة ثناء وابتهال":

حمدتك باللسان وبالجنان وحمدك عزة النعم الحسان

فأنت موفقي للخير فضـــلا وأنت معلمي قول البيـــــان [2]

حيث يظهر في هذا النص القرآني المتمثل في مفردات سورة الرحمن، لقوله تعالى: ﴿**فيهنّ خَيْرَاتٌ حِسَانُ 70**﴾ وقوله أيضا ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[سورة الرحمن]. مما عزز إيقاع الأبيات ودلالاتها وأضفى جرسا قويا في النفس.

[1] المرجع السابق، ص 268.

[2] المرجع نفسه، ص 3.

– أما في قصيدة رثاء رشيد بطحوش فنرى أثر القرآن الكريم واضحا في تعزيز الإيقاع فقال:

قد أنشب الموت فينا أظفـــاره كالعقـــاب[1]

كـان احتضارك بشرى لنا بصدق الكتـــاب

آواك ربـــك فاغنـم ما عنـــده من ثـواب

محمـــد لك جـــار وشافـع في الحسـاب

يا فوز من طاب ذكـرا ونـال حسن المـــآب[2]

– ففي هذه الأبيات يرثي محمد العيد رشيد بطحوش وهو من رجال الإصلاح العاملين، وعضو في الشبيبة الإسلامية الجزائرية... وقد مات فكان لموته حزن عميق في الأوساط الإصلاحية في الجزائر كلها، فاختار مفردات ذات الفواصل المتشابهة(**العقاب، الكتاب، ثواب، الحساب، المآب**).وذلك اقتباسا من سورة الرحمن.

ومن السورة نفسها يواصل الشاعر في إبراز الإيقاع القرآني يقول :

أدب يـروق إلى جـلال الشـــأن هذا لعمرك مفخـر الإنســـان [3]

يا صاحب الطبع اللطيـف ومنتج الـ شعر الظريف و طيب الأفنـان

ونطقت بالشعـر الصحيـح وزانـه لكن بشعرك خف في الميـزان

إنـي أحبـك لا لشيء غير مـا أوتيت من أدب وحسن وبيـان

[1] المرجع السابق،ص472.

[2] المرجع نفسه،ص473.

[3] المرجع نفسه، ص 546.

رحـــم الإلاه أبـــــاك إذ ربّاك بالـــــ علم الصحيح ومحكـــم القـرآن[1]

ففي هذه القصيدة الموسومة بـ"الأقلام أسلاك المناجاة" استعمل الشاعر تراكيب اقتبسها من سورة الرحمن لتعطي إيقاعا مناسبا مع باقي القوافي، ويتضح ذلك في الأبيات المذكورة أعلاه.

فنجد ذلك في أوائل آيات الرحمن:﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4)﴾

وأيضا قوله:﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(7)﴾وأيضا: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)﴾**[من سورة الرحمن]**.

ومنه فإن الشاعر محمد العيد يقوم باستدعاء آيات قرآنية لتعزيز أبياته ودلالاتها بأسلوب سلس ومضبوط.

– أما في قصيدة **"أبت النفس أن تراك عديما"**يقول:

صدّ عنـك الذي دنا منـك ودا وحنا عاطفـــا عليـك كريمـــــا[2]

فجعت أمة العروبـــة في الهـــا دي لمن ظل نهجها المستقيما

فقـــــد أجمع الكناني عضـــوا نادر الكلف بالغريـــب عليمـــا

خرجت نحو نعشك اليوم تسعى وعلى القبـــر سلمـــت تسليـــــما [3]

فلقـد كنـــت للعروبـــة فينـــا ولديـــن الإســـلام رمـــزا حكيمـــا [4]

فائـــت أخـراك مطمئنـــا ففيـــها ضفـــت رحمـــان للعبـــاد رحيمـــا

عشت فوق الثرى عظيما فأحـرى بك أن تسكـــن الســـماء عظيمـا

---

[1] المرجع السابق، ص547.

[2] المرجع نفسه، ص 488.

[3] المرجع نفسه، ص 489.

[4] المرجع نفسه، ص490.

ففي هذه الأبيات استثمر محمد العيد الإيقاع القرآني في سبك أبياته، ويظهر فيها مفردات سورة النساء فقد استخدم لفظة" عليما" التي أخذها من قوله تعالى:﴿ **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا(39)**﴾ولفظة "تسليما" من نفس السورة ﴿**لَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)**﴾**[سورة النساء]**.

وأيضا لفظة "مستقيما" في قول العزيز الحكيم:﴿**وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا(68)**﴾ثم مفردة **"حكيما"** من نفس السورة يقول سبحانه وتعالى:﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(165)**﴾**[الآية 165]**.

كما أخذ لفظة "رحيما" من قوله تعالى:

﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (16)**﴾**[سورة النساء، الآية 16]**.

كان لهذه المفردات إيقاعا واضحا في النص الشعري، وفي نفس القارئ والمتلقي كذلك ،من خلال تناسب الإيقاع مع قافيته ليتشكل موسيقى إيقاعية هادئة ، وهذا ما تركه عند قراءتنا لأبيات محمد العيد آل خليفة.

المبحث الثاني: أثر الفاصلة القرآنية في شعر محمد العيد

المطلب الأول: مفهوم الفاصلة القرآنية

تناول العلماء الفاصلة القرآنية بتعريفات كثيرة منذ القرن الثاني الهجري، إبتداءا من الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى يومنا هذا، ومنذ أن كان إشارات مبسطة إلى أن أصبحت مصطلحا متعارفا عليه، ولا نريد أن نخوض في هذه التعريفات وعلاقة الفاصلة بالسجع، ونظر العلماء فيها فوجدوها مفصلة ومجموعة في كتب اختصت بالفاصلة القرآنية، ولكن نذكر من ذلك شذرات.

قال السيوطي معرفا الفاصلة:(كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)[1]

وقد عرفها من المحدثين أحمد أحمد بدوي يقوله(تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن)[2] وقوله (الفاصلة مأخوذة من قوله سبحانه:﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ **[سورة فصلت، الآية 03]**.

ومن التعريفات الحديثة الأخرى التي نظرت إلى الجوانب اللفظية والمعنوية تعريف محمد الحسناوي الذي سماه التعريف الجامع المانع بقوله:(الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر والتفصيل توافق أواخر الآتي في حروف الروي، أو في الوزن مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس).[3]

إنّ اهتمام العلماء بالفاصلة القرآنية يرجع إلى كونها عنصرا مهما في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أساسها الإيقاع الموسيقي في الآيات القرآنية، لذلك قالوا إن وظيفتها معنوية هادفة، وليست خلية أو فضلة، كما يلاحظ على بعض نماذج السجع أو الشعر، فلا توجد فاصلة قرآنية جاءت مراعاة للتقفية

[1] محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي ، عنان ، دار دجلة 2010 ،الطبعة الأولى ، ص 69 .
[2] أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، مصر ط2 ، 1953 ص 75 .
[3] محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1986م ، ص 29 .

وحدها[1]كما جاءت الفاصلة بخصائص في الاستخدام القرآني وبصور مختلفة من حيث اتحادها في الوزن والقافية واختلافها أو تساويها في الوزن ذو تقفية، ولما للفاصلة القرآنية من صلة بين أجزاء الآية ونهايتها، ذكر العلماء تلك الصلة بأربعة ضروب في: التمكين، والتصدير، والتوشيح ، والإيغال.

أما اختلاف الفاصلة القرآنية عن السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر فيظهر في ما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه، وليس ذلك بعيب في الفاصلة، وما جاز الانتقال من الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة[2].

أما فائدة الفاصلة، فهي تقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين بها سائر الكلام وتسمى فاصلة لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذ الاسم من قوله تعالى:

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾. **[سورة فصلت، الآية: 03]**، ولا يجوز تسميتها قوافي، لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم وجب سلب القافية عنه أيضا، لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح، وكما يكتنع استعمال القافية في القرآن يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفحة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه[3].

وأكد العلماء أن للفاصلة فوائد معنوية ولفظية ونفسية يحدثها الجانب الصوتي وما توحيه في النفس من تأثير نتيجة لما سموه بالموسيقى القرآنية أو الأوزان، فمن حيث المعنى لها ميزة مهمة ترتبط بما قبلها من الكلام، بحيث تنحدر عن الأسماع انحدارا وكان ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، بحيث إذا حذفت اختل المعنى في الآية، ولو سكت عنها القارئ استطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع والذوق السليم، ومن حيث اللفظة فالفاصلة القرآنية لها قيمتها في إتمام المعنى[4].

[1] شلتاغ عبود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، دمشق ، دار المعرفة ، 1987 ،ص 98 .

[2] محمد شهاب العني ، أثر القرآن في الشعر العربي ، ص71 .

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] عبد الفتاح لاشين ، الفاصلة القرآنية ، ص 38.

المطلب الثاني: استلهام الفاصلة القرآنية عند محمد العيد

التزم محمد العيد القافية الواحدة، ولم يخرج عنها إلا في بعض المقطوعات التي تأتي في صورة موشح أو رباعيات أو ماثل ذلك ومن الغريب أن يلتزم وحدة القافية في المطبوعات ويتفنن فيها في المقطوعات القصيرة، وهذا هو الواقع يوحي بأنه لم يخرج عن هذا الخط عجزا منه أو رغبة في التحرر من القافية كقيد ثقيل بل لمجرد التنويع والشعور بالقدرة على النظم في المجالين المطلق والمقيد[1]،وقد استثمر محمد العيد الفاصلة القرآنية بشكل لافت للنظر، من خلال ما توحيه من طاقات صوتية منتظمة، فنسج على غرارها مما أضفى على قوافيه الشعرية، إيقاعا مميزا، فها هو يقول في قصيدته: **"شاعرية الرصافي"**

جفاك الشعر يا (معروف) شيخا وطيب فتىً به وصلا وطابا

رأيت الشعر أشبه بالغواني يخص بصادق الحب والشبابا

رثيت لشاعر في الشرق فحل خبا في الشعر طالعه وخابا

وناء بعبئه حملا فأزرى شباب الرافدين به عتابا

أقيلوه العثار فكيف يجزى أبوكم في عواقبه عقابا ...[2]

وقف الشاعر على كلمة تحت هذا العنوان في مجلة (الصباح) عن سقوط شاعرية (**معروف الرصافي**) واستنكار شعره في العهد الأخير، وفيها أن صحيفة (بغداد) العراقية نشرت مقالا في الموضوع جاءت فيه هذه الكلمة ..(ما سمعنا بشاعر مات قبل أن يموت إلا الأستاذ الرصافي) فاستنكر محمد العيد هذه الكلمة،

[1] مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 34.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

ولم يملك نفسه إزاء هذه المأساة القاسية عن الاندفاع بهذه الأبيات الشعرية[1]، فعند قراءتنا لهذه الأبيات تتبادر في أذهاننا نهايات سورة "النبأ" فهي قريبة منها لقوله تعالى:

﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28)﴾[سورة النبأ،الآية 20– 28].

فالشاعر تمثل الفاصلة القرآنية في (طابا، الشبابا، خابا، عتابا، عقابا) مقابل (سرابا، مآبا، أحقابا، شرابا، حسابا، كذابا).

أما في قصيدة:**"هذه خطوة"**

ارق بالشعر لا عدمت رقيـا قد عرفناك نابغا عبقريـــا

قد عرفناك نابغ الفكر حـرا نابه الذكر مخلصا وطنيـــا

قد عرفناك في الجزائر بـــرّا يوم أحييت ذكرها الأديبـــا

يوم أحييت شعرها بعد أن لم يكن الشعر في الجزائر شيّا

كان بالأمس مودع الفبر ميتـا كيف أخرجته من الفبر حيـّا[2]

ألقى محمد العيد هذه الأبيات في حفل التكريم الذي أقيم للأستاذ **"الهادي السنوسي"** بمناسبة طبع كتابه **"شعراء الجزائر في الحاضر"**.

[1] أبو القاسم سعد الله ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، ص 225 .

[2] المرجع نفسه، ص 20 .

وفي قصيدته الموسومة بـ "**جد في هزل ..و هزل في جد** ":

إن رمت شبعا وريّـا وأن تعيـش هنيـا

وأن تكـون سليمـا من الظنـون نقيـا

وأن تعـزّ وتعطـى ما تشتهي وتحيّـا

فلا تكـن حُرّ فكـر ولا تكـن وطنيـا

ولا تسـل أو تحـاول من المطالـب شيّـا[1]

ففي هذه الأبيات كان الشاعر متأثرا بالفاصلة القرآنية في سورة (**مريم**) فنهايات الأبيات (**شيّا، حيّا، هنيّا، نقيّا، تحيّا، وطنيا، الأديبا، عبقريا**)منها ما هي نفسها في السورة أو قريبة منها لقوله تعال:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13)وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾**[سورة مريم، الآية 09– 15]**.

أما في قصيدة "**بين الشك والتشكي**" فيقول في حرف الدال:

هل للحقائق في الحياة وجـود كادت على عقلي الشوك تسود

ما في الحياة حقيقـة محـدودة إلا اصطلاحـات بهـا وقيـود

تدعو إلى العرفـان وهي جهالـة وتشيد بالإيمـان وهي جحـود

مثل الدفوف على المسامع رنّـة خلابـة، وعلى الأكـف جلـود

أو كلما أوشكت أجلو مبحثـا ضربت عليه من الشكوك سـدود

[1] المرجع السابق، ص 302 .

لا ريب سر الكون وهو لطيفـة لا يحتويه اللفظ وهو جمـــود[1]

وقال في قصيدة : "**سلو التاريخ**":

رقدْت فضاع في الأحلام عـمري كذاك تضيع أعمـار الرقـود

أؤمـتل أن أرى حظـي كبيـرا من الحسنى ونجمي في صعـود

وتنـآى بي الآمـال نفـس تنوء بوزرهـا تحت القيـود[2]

وفي ذكرى المؤتمر الذي أقيم بالعاصمة أنشد محمد العيد هذه الأبيات :

أقيمـي لا تفارقـك السعـود سـلام الله أيتـها الوفـود

شهـدت اليوم مؤتمـرا عظيـما أغـرّ لمثلـه يجب الشهـود

بـه تبنـى الجزائـر من جديـد وتستحيـا المآثـر والجـدود

ونبعـت صوتنـا الشعبي حـرّا يدوّي مثلمـا دوّت رعـود[3]

فهذه القوافي تحيلنا إلى الفواصل القرآنية في سورتي (ق) والبروج، قال الله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6)وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾**[سورة البروج ،الآية 05– 06–07]**.

وقوله تعالى:﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ(12)**»**[سورة ق، الآية :12]**.

وقوله وجل:﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ(40)**﴾**[سورة ق، الآية :40]**.

فقوافي الشاعر (**سود، قيود، جحود، جلود، جمود، صعود، وفود، شهود، جدود، رعود**)وهي قريبة من الفواصل القرآنية التي تم ذكرها.

[1] المرجع السابق، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 183.

[3] المرجع نفسه، ص 276.

وقوله في قصيدة :"**صوت من الغيب**"

قم هنـــئ العشائـرا وأعلـن البشائـــــرا

وبالمنى فحدث النفـ س وسـلّ الخاطـــــرا

فيؤمن الحاضـــر ولا يشبــه أمس الدّابـــرا

وعصرنـــا الآتــي حر يٌّ أن يفوق الحاضــرا[1]

فهذه النهايات تذكرنا بسورة (الإنسان)، وإيقاع آياتها كما في قوله تعالى:﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا(4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا(05)**﴾

[سورة الإنسان الآيات:01، 02، 03، 04، 05].

ويسترسل محمد العيد توظيفه للفاصلة القرآنية مع حرف الهاء في قصيدة "الجارية السوداء"فقد نظّم البيتين الاولين في بداية الحب العالمية الثانية حيث فقدت القهوة وهي"الجارية السوداء"، ونظم البيتين الأخيرين بعد الحرب وآلامها:

وجــارةٍ ســـوداء عزّمنـا لهـــــا على البيض واستعصى عليهم وصالها

تولّـت وصـدّت عنهـم فتعوّضـــوا جواري أخـرى لا يطـــاق إحتمالهـــا

وها هي قد عادت وجاءت بوصلها لنا بعدمـــا غابت وطـــال ارتحالهـــا

إذا حضرت في مجلس طاب أُنسه وأغنـاه عن شرب الحـــرام حلالهـــا[2]

[1] المرجع السابق، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 511.

فهذه القوافي مأخوذة من فواصل قرآنية من سورة الشمس، **لقوله تعالى:﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾**

[سورة الشمس الآية:01- 06].

وبتأثره بفواصل القرآن الكريم في سورة القدر، في قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4)سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾[سورة القدر الآية :**01-05**].

فيقول محمد العيد في قصيدة "رفاق الخير" وهي من حوليات الشاعر التي تعود إلقائها في كل سنة بمناسبة الحفل الذي تقيمه إدارة نادي الترقي بعد انتخاب المجلس الجديد لجمعية العلماء:

طاب في ظلك الشمر فازدهِرْ يا أخا القمـــر
وجهك اليوم مشـــرق لم يحُمْ حوله كـــــدر
فأزح كل حالـــــك بين أحبائنا انتشـــــر
وأزل كـــل لمعـــــة من قذى تخدش البصر
إن للنـــاس أنفاســـا ضاريـــات على الضـرر
وعيونـــــا رقيبـــــة شرّة تقـــذف الشـــرر [1]

وفي قصيدة "**زلزلة الأصنام**" يقول محمد العيد :

ويـح الجزائر ما دهاها مالهـــا تدعو دراك وتستغيث رجالـهـا
ويـح الجزائر أصبحت مكروبـة ولمن تئن فمن يكـون ثمـالهـا
مفجوعـة ثكلت فتـــاة بـــــرة حسناء شوهت المنون جمالهـا
تدري على الأصنام صيب دمعها وتردد الزفرات ممـــا نالـهـــا

[1] المرجع السابق، ص 125.

أسفي على الأصنام رجت دورها تحت الظلام وزلزلت زلزالها
ما رجها الزلزال حقردها بعد الأناقة دِمنة وأحالها
تجتاح أرواح الشقاء ديارها وتجوس أسباح الفناء خلالها
أخلى أواهلها وخلى حولها سبعين ألف تطلب المأوى لها [1]

فهذه النهايات تذكرنا بسورة (الزلزلة) وإيقاع آياتها كما في قوله تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا(5)﴾[سورة الزلزلة الآية :**01-05**].

وفي قصيدة "**الخمر**" قال:

يا شارب الخمر ما ترجوه من دونٍ للعرض غول عقول لص أكياس
ما الخمر إلا ظلام للنفوس فلا يغررك منها شعاع لاح في الكاس
على الفؤاد بها النيران موقدة وفي الدماغ لها دقّات أجراس
وكيف تطفئ نبرسا حبا كبه ربُّ البرايا وتبقى دون نبراس
فحطّم الكأس واهجر كل رفقتها تعش وتأمن ألسن الناس [2]

فهذه القوافي مأخوذة من فواصل قرآنية في سورة (الناس) في قوله تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(01)﴾[سورة الناس،الآية :**01**].

وفي قصيدة "**بشرى البراءة**" يقول محمد العيد :

أعلنوا البشرى فرادى وثُبين جاء نصر الله والفتح المبين
اطرحوا عنكم تباريح الجوى وافرحوا، فاليوم عيد المصلحين
خرج الإصلاح من محنته وهو عالي الرأس وضّاح الجبين

[1] المرجع السابق،ص66.
[2] المرجع نفسه ، ص 256.

ونجا (العقبيّ) و(التركيّ) من غمـرات نـاهزت بضـع سنيـن
حلّـق النسـران في جوّهمـا وانثنت حسرى قلوب الصئمين
وخطا الليتان أخطـار الزبـى مستقـليـن ولا ذا بالعريـن
أيهـا الخـلاّن قد آواكمـا حـرم من جانب الشـرع أميـن

في هذه القصيدة بيّن الشاعر كيف فضح الله كيد الاستعمار الذي ألصق حادثة مقتل الشيخ (محمد كحول)بالشيخين (الطيب العقبي) و(عباس تركي)أملا في قتل الحركة التي قام بها المؤتمر الإسلامي في باريس، لكن الله أبى إلا أن يظهر براءتهما كفلق الصبح، فقوافي هذه الأبيات أخذها الشاعر من فواصل قرآنية في قوله تعالى:**وقوله تعالى:**﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾**[سورة التين، الآيات: 01-08]**.

وقوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ **[سورة الفاتحة، الآية 01-04]**.

ويقول في قصيدة :**"يا وادي السان"**:

يا (وادي السان) أوردنا بإحسـان ولا تمتنا صدى يا وادي السـان[1]
ألا إسقنا من رحيـق بالشذى عبـق لا تسقنـا من حميـم بالأذى آن [2]
أنصف عطاشا أرادوا منك أن يردوا فزادهـم كـل فتّـاك وفتّـان
لهـم عليـك أياد جمـة شهـدت بهـا وقائع (لامارن) و(فـردان)[3]
ما للحقـوق إلينـا غيـر واصلـة وقد سمعنا بهـا من منذ أزمـان؟

[1] السان، النهر الذي يشق مدينة باريس.
[2] آن، شديد المرارة، وفي القرآن يطوفون بينها وبين حميم آن.
[3] لامارن وفردان، موقعان في الأرض الفرنسية لمعركتين في الحرب العالمية الأولى.

هــل عاقها البحر عنّا فهي عاجــزة عن قطع ما فيه من لجّ وشطـآن؟

أم راقها البحـر حسنـا فهي سابحـة تلهو بما فيـه من درٍّ ومرجـــان؟[1]

وفي هذه الأبيات كان الشاعر متأثرا تأثر كبير بالفاصلة القرآنية في سورة (اللسان، آن، فتان، غردان، أزمان، شطان، مرجان) منها ما هي الفاصلة نفسها في هذه السورة أو قريبة منها، قال تعالى جلّ في علاه:﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾**[سورة الرحمن، الآية :01-09]**.

زار شاعرنا مدينة قسنطينة، منبع الحركات العلمية والوطنية، فأقام له تلاميذه حفلا عبّروا به عن تقديرهم لأستاذهم، وألقى قصيدة"**يا قوم هبوا**"،وفيها كعادته نصائح عالية، وإرشادات حكيمة، ووصف لمدينة قسنطينة، وتشريح للداء والدواء، فيقول محمد العيد:

حثّوا العزائم وأصدقــوا الأمـــالا إن الزمان يسجـــل الأعمـــــالا

يحصي ويكتب في صحائف سفره أعمالنـــا ويذيعـــها أقـــــوالا

وشهادة التاريـــــخ أوثق حجـــة تجلو الأمــور وتكشف الأحـوالا

فتدارسوا التاريـــخ والتمســوا بـه لنّـشء رمـــزا عاليـــا ومثـــالا

إن الزمـــان بكـــم أهاب مؤذنـــا في فجر نهضتهم ففـاق بـــلالا[2]

فهذه القافية تذكر القارئ ببعض فواصل القرآن الكريم، وقوله تعالى:﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾**[سورة المعارج،الآية:04-05]**.

[1] مكتب الدراسات ، ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص307.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)﴾[سورة الأحزاب الآية:48].

وقوله عز وجلّ:﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا(18)﴾[سورة المزمل الآية :18].

ويقول في قصيدة "**الناس**":

أغراني الله بالحسنى لأعلقها فكيف أعلق من جرثومه علق
عداني الصدر فاستأخرت منقلبا إلى خوالف في أخلاقها خلق
أصبحت أيأس صادٍ لا يعللني حق السراب فلا ماء ولا ألق
حيران كتائه الظليل ليس له هادٍ بأحرف وادٍ كلها زلق
ما أجبن الحر في البلوى واحْصره وإن أتيح له الإقدام والذّلق
يا لامع الخلق والأخلاق راجية كأنما خُلقه من بينها فلق[1]

وفي قصيدة "**يا فؤادا**" يقول:

يا فؤادا به احترق لا عجّ الهمّ فاحترق
ما عسى يدفع الأسى أمة شملها افترق
الملمّات كالقنا فألبس الصبر كالدّرق[2]

أما في"**باقة شعر**" فقد أهدى الشاعر هذه القطعة إلى صديقه (**الطيب العقبي**) و(**عباس التركي**) بعد أن أطلق سراحهما من السجن ظلما من طرف الاستعمار الفرنسي فيقول:

خذا لكما عني من الشعر باقة كذكر كما الزاكي تضوع وتعبق
مضت لكما في الدّهر أيام محنة وساعات عسر بالأماثل تلحق
بها يمحص الله المحقين في الورى ويسحق دعوى المبطلين ويمحق

[1] المرجع السابق، ص 342.
[2] المرجع نفسه، 348.

ففي ذمّة التاريخ بلـــوى مريـــــرة وذكرى كمثل الجمر في القلب تـحــرق[1]

فهذه القوافي التي سطّرها محمد العيد مأخوذة من فواصل قرآنية كقوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (16) والليل وما وسق (19)﴾[سورة الانشقاق الآية: 16، 19].

وقوله تعالى:**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(01)﴾[سورة الفلق الآية:01، 02]**.وقوله عز وجل :**﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[سورة العلق الآية :01، 02]**.

ليس هذا فقط وإنما يوجد قصائد أخرى قوافيها مأخوذة من الفواصل القرآنية.

[1] المرجع السابق، ص 358.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن أن نسجل النتائج التي استخلصناها والتي جاءت كالآتي:

* استطاع الشاعر محمد العيد من خلال تعامله مع القرآن الكريم من استلهام روحه والنسج على منواله، فلم يجد صعوبة في الاقتباس من القرآن، ولم تختلط عيه معانيه في الأغلب.

* لقد تمكن الشاعر بتوظيفه لمجموعة من القصص القرآنية، أن يرسم من خلالها صورة تكشف عن الصراع الحضاري بين الاستعمار والانتماء العربي الإسلامي.

* لقد اتخذ محمد العيد من توظيفه لرموز الأنبياء وتبيان مواقفهم من القرآن الكريم ذريعة لإثراء تجربته الشعرية فباختياره لهذه الرموز استطاع أن يعبر عن معاني خاصة يدل عليها هذا الرمز.

* مسّ اقتباس محمد العيد معظم السور القرآن مما يدل على اتصاله الوثيق به، فقد تمثل في الالفاظ القرآنية وكذا التركيب القرآني، الذي استطاع بفطنته وذكاءه أن يحولها إلى صور موحية.

* إن اقتباس الشاعر من القرآن الكريم تمّ بطرق مختلفة:

أ- اقتباس لفظة واحدة، واستغلال ما فيها من طاقة تعبيرية وتصويرية.

ب- اقتباس آية كاملة أو تراكيب بعينها ضمنت الأبيات الشعرية.

ت- اقتباس شبه تام للآيات والتراكيب.

ث- توظيف عدّة عبارات لمزيد من التعبير والتصوير.

* تأثر محمد العيد بالإيقاع القرآني واستخدامه في أبياته بالشعرية، إنما برهنة على الحذق في النظم والقدرة على الصناعة وسبك الكلام والاوزان، التي ساعدته في الانطلاق والتعبير الحر.

*إن استخدام محمد العيد للفاصلة القرآنية في شعره جعلته يبرز المعاني المقصودة بصورة جمالية، مع محافظته في الوقت نفسه على جمال الموسيقى في شعره، فلا نحس بفتورها ولا تكلف تصيد الالفاظ ولا هزات في القوافي .

* اقتباس محمد العيد لم يكن دائما تقليد أو محاكاة، إذ تمكن من التصرف في كثر من الصور بالتحوير والتغيير، كما ركز على جانب الإيحاء في صوره ولغته المقتبسة من القرآن.

* إنّ عودة محمّد العيد إلى التراث الديني واستمداد القوة منه، باقتباس آثاره وتمثل نماذجه، إنما كان القصد منها ربط الماضي بالحاضر و لاختصار المسافة بين الفنان والمتلقي فيكون في رموزه وصور محرك يثير مشاعره ويغني تجربته الشعرية.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في جمع المطلوب لمعالجه هذا الموضوع من أبراز الاقتباسات القرآنية التي وظفها محمد العيد في شعره وقبل ذلك كله كان ولا بدّ من الإعتراف بالتقصير في إبرازها كلها وسبب ذلك في كثرتها ونقص الخبرة في هذا المجال.

نسأل الله عز وجل أن يلهمنا السداد، وأن يأخذ بأيدينا إلى طريق الخير والرشاد، إنه بالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير، والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

01/ - القرآن الكريم.

02/- ابن رشيق القيراوي، العمدة في محالس الشعر وآدابه ونقده، تح محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط5، 1981.

03/- ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر.

04/- أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الجزائر، عالم المعرفة طبعة خاصة 2011.

05/- ابو حسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة 1374-1975.دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

06/- أحمد أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، القاهرة، مكتبة النهضة،ط2 ، 1953.

07/- أحمد جوهري محمد الجوهري عبد الجواد، القصة في القرآن الكريم، الجامعة الأمريكية المفتوحة، برنامج ماجيستير.

08/- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

09/- أدونيس زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت لبنان، ط3، 1983.

10/- اسماعيل بن الكثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت شارع مكة المكرمة، مجلد الثاني والثالث.

11/- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)،ج3،تج، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، الملاهي، بيروت، لبنان،ط1، 1956-1976.

12/- براهيم الرماني، أوراق النقد الأدبي، دار شهاب،الجزائر،ط1، 1986.

13/- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الندوة الجديدة.

14/- حكمت فرج البدري، معجم آيات الاقتباس، دار الرشيد للنشر،1980.

15/- درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر القاهرة،ط2، 1982.

16/- الرازي التفسير الكبير، القاهرة، المطبعة البهية،ج11،الطبعة1، 1983.

17/- سعد الدين التفتازي، مختصر المعاني القاهرة، مطبعة عبد الله أفندي، 1307هـ.

18/- سنن الترمذي، كتاب الرؤيا الحديث.

19/- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق،ص16، 1422ه ،2002م.

20/- شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

21/- شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة، موفم للنشر، 2010، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية.

22/- شلتاغ عبود شراد، أثر القرآن الشعر العربي الحديث، دمشق، دار المعرفة.

23/- صحيح مسلم، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 1996،ج7.

24/- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظومه ومفهومه، القاهرة، 1965.

25/- علي عشري زيد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

26/- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986.

27/- محمد سيد الطنطاوي، القصة في القرآن الكريم،ج1،دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، نوفمبر 1996.

28/- محمد شهاب العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي، عمان، دار الدجلة، 2010، ط1.

29/- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت لبنان، 1983.

30/- مكتب الدراسات، ديوان محمد العيد آل خليفة.

المجلات

31/- سامي مكي العلني، اقتباس شعراء صدر الاسلام من القرآن الكريم، مجلة الآداب المستنصرية، ع 20- 21 لسنة 1991.

32/- صابر ميشيل المجلة الجامعة، العدد، العدد11، 2009.

الفهرس

المقدمة .....**أ–ب–ج**

المدخل **02**

الفصل الأول : توظيف القصص القرآني في شعر محمد العيد **10**

المبحث الأول : القصة القرآنية مفهومها و مميزاتها.....11

المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية 11

المطلب الثاني :مميزات القصة القرآنية و أهدافها 13

المبحث الثاني : توظيف القصة القرآنية في شعر محمد العيد.....15

الفصل الثاني : الاقتباس اللغوي و الرمزي في شعر محمد العيد **26**

المبحث الأول :الاقتباس اللّغوي القرآني في شعر محمد العيد.....27

المطلب الأول : الألفاظ الدينية 27

المطلب الثاني :التراكيب القرآنية 33

المبحث الثاني :الاقتباس الرمزي القرآني 37

المطلب الأول :مفهوم الرمز (لغة / إصطلاحا).....37

المطلب الثاني : تجلي الرمز في شعر محمد العيد 41

الفصل الثالث : الإيقاع القرآني في شعر محمد العيد.....**53**

المبحث الأول :الإيقاع القرآني مفهومه و أشكاله 54

المطلب الأول : مفهوم الإيقاع القرآني.....54

المطلب الثاني: أشكال الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم.....56

المطلب الثالث: أثر الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم.....56

المطلب الثالث : أثر الإيقاع القرآني في شعر محمد العيد.....59

المبحث الثاني أثر الفاصلة القرآنية في شعر محمد العيد 63

المطلب الأول : مفهوم الفاصلة القرآنية.....63

المطلب الثاني : استلهام الفاصلة القرآنية عن محمد العيد..... 65
الخاتمة :.....76
قائمة المصادر و المراجع :.....79